القديس

مكاريوس الكبير

عظاته وديره

يوسف حبيب

نياحة القديس
٥ أبريل ١٩٦٨
٢٧ برمهات ١٦٨٤

حضرة صاحب القبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

القديس مكاريوس الكبير مؤسس الرهبنة فى الاسقيط فى القرن الرابع هو أبو جميع الرهبان . لما أراد أن يسكن فى برية شيهيت أعلمه ملاك الرب أن يقيم هو وأولاده حيثما شاء فالبرية كلها له ، والمواهب العظيمة التى حباه الله بها إلتف حوله عشرات المئات من النساك والمجاهدين، وهكذا بعد أن كان الراهب الأول فى الاسقيط - كما كان القديس أمون الراهب الأول فى صحراء نتريا - اصطادت الشبكة الروحانية نفوساً من كل الأجناس تهافتت على السكنى بقربه إذ كان يجذبها بمغناطيس حبه وحسن رعايته ، فنمت شجرة الرهبنة وتأصلت وعلت فروعها المتشعبة وامتدت جذورها ، ورأى فى حياته الأشجار التى زرعها مثقلة بالأثمار ، والزرع الذى ألقى بذاره نامياً مزدهراً ، حتى بلغت الرهبنة فى أيامه أوج قوتها ومكانتها فى مختلف النواحى .

كان عجيباً فى محبته لأولاده ، يصفح عن أخطائهم وإن كانت جسيمة ويعالج ما يراه من عيوب فيهم وان كانت خطيرة وذلك بروح العطف والمحبة الأبوية ، وهذه كانت أعظم صفة إمتاز

بها - صفة الرحمة والحنان والعطف والمحبة الأبوية - فقد كان متشبهاً بالسيد المسيح الرحوم محب البشر . ولذلك استحق أن يسمع الصوت من السماء أكثر من مرة قائلا له : مغبوط أنت يا مقاره لأنك تشبهت بخالقك ، تشاهد خطايا الناس ولا تدينهم.

كان القديس مكاريوس متسامياً بالاتضاع الكامل محباً للعمل ميالا للنسك متهيئاً للصلاة فى كل وقت ، حاز الفضائل جميعها ومنحه الرب موهاب الروح القدس ، كان يشفى المرضى بكل نوع ويخرج الأرواح الشريرة كما أوتى موهبة النبوة والايمان حتى أنه أقام الموتى .

وقد ذاع صيت قداسته فى كل الأقطار وأقبل الناس اليه من كل حدب وصوب ، من أسبانيا وروميه وفلسطين وبلاد الشام ... سكنوا بقربه للاستفادة من تعاليمه وتوجيهاته وإرشاداته ... وألحوا فى طلب ارتداء إسكيم الرهبنة المقدس .

كانت تعاليم القديس وإرشاداته وتداريبه الروحية منوعة كل حسب ما تحتاج إليه نفسه ، كان طبيباً حقيقياً لكل النفوس الظمأى ومرشداً لكل قاصد إلى ميناء الخلاص . كانت له حكم ونصائح كثيرة نافعة للرهبان ولغير الرهبان . تبحر فى دراسة

الكتاب المقدس، أوغل فى تفسير آياته وشرح غوامضه وتعمق فى المواضيع اللاهوتية والعقائدية .

وسنرى من بعض أقواله ومن إحدى عظاته التى سننشرها[1] فى هذا الكتاب نموذجا لعمقه فى التأمل ومدى استيعابه للكتاب المقدس ودراسته .

من أجل ذلك لا تعجب إذا علمت كيف أوصل تلاميذه إلى روحانية ممتازة ، ولقد ذكر عن تلميذه القديس ايسيذورس الفس أنه كان يضم اليه كل من كان به عيب من الرهبان أو يسير مخالفاً للإخوة فيصلح أمره بروح الوداعة والمحبة ، لا يسلط سيف القوانين على المخالفين لكنه كان ينفذ وصية المحبة التى تستر كثرة من الخطايا ، والقديس موسى الأسود تلميذ القديس إيسيذورس كان يرفض الاشتراك فى إصدار أى حكم على أى راهب ولو كانت خطيئته واضحة ، وتذكر عنه القصة المعروفة وملخصها أن أخا فى الإسقيط أخطأ يوما ما وانعقد مجمع بسببه لإدانته وأرسلوا فى طلب أنبا موسى ليحضر فأبى وامتنع عن الحضور فأتاه قس المنطقة وقال له: «ان الآباء كلهم ينتظرونك»

(١) من كتاب عظات القديس مكاريوس الكبير سنة ١٩٠١ العظة الخامسة والعشرون .

فقام وأخذ كيساً مثقوباً وملأه رملا وحمله وراء ظهره وجاء إلى المجلس . فلما رآه الآباء هكذا قالوا له : « ما هذا أيها الآب ؟ » فقال: « هذه خطاياى وراء ظهرى تجرى دون أن أبصرها، وقد جئت اليوم لإدانة غيرى على خطاياه » ، فلما سمعوا ذلك غفروا للأخ ولم يحزنوه فى شىء ...

حقاً ما أروع وما أرهب ما قاله القديس بولس الرسول نفسه ١ كو ١٣ : ١ - ١٣ .

« ان كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن ، وان كانت لى نبوة واعلم جميع الأسرار وكل علم وان كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً ، وان أطعمت كل أموالى وان سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً. المحبة تتأنى وترفق ... وتحتمل كل شىء ... وتصبر على كل شىء ، المحبة لا تسقط أبداً ... » .

ان القديس مكاريوس جعل الطريق غير المسلوك مطروقا

والقفر سهلا والسفر الطويل هيناً ، فأقبل أبناء الملوك والعظماء والكبراء وهرع الخطاة إلى التوبة فى هذه الأماكن الطاهرة يروونها بدموع توبتهم فحسبوا أهلا لأن يضموا إلى أحضان القديسين .

خرج الرهبان إلى ميدان الجهاد الروحى ، وهم أشجع ما يكونون جنوداً ، تحت الرعاية العليا الحكيمة التى للقديس مكاريوس الكبير - رائع النفوس الحكيم - فانهزمت فلوله الأبالسة وسقطت ألوية الشياطين مدحورة وفرت مولية الأدبار.

طوباك أيها البار ، القديس الأنبا مكاريوس الكبير ، كم من نفوس خلصت وكم من ضالين كانوا غارقين فى لجة الخطايا أنقذت ومن إبليس انتشلت ، وأيضاً كم من قديسين خلقت .

هذا الطوباوى يستريح جسده للآن فى تابوت من خشب فى ديره ومعه جسدا القديسين مكاريوس الاسكندرى ومكاريوس أسقف أذكو ويطوفون فى عيده (١٩ مسرى) بهذه الأجساد المباركة فى الهيكل وفى أرجاء الدير .

هذا التفانى فى خدمة السيد المسيح والاتضاع الذى أذل الشياطين ليته يكسر شوكة كبريائنا وتظاهرنا ويحرك نفوسنا للاشتياق للعيشة الطاهرة .

التلاثة مقارات القديسين

الأجساد محمولة على الأعناق يطوفون بها أرجاء الدير

ظهرت سيرة القديس مكاريوس الكبير فى كتاب الثلاثة مقالات لدير السريان العامر شاملة كاملة ، ولهذا رأيت أن يكون هذا الكتاب قاصراً على بيان لحالة الدير على مر الزمن مع نشر مقتطفات من أقواله وعظاته ومختصر سيرته .

أيها القديس الطـــوباوى أطلب إلى الرب عنا ليعطنا فهما وحكمة وسيرة طاهرة لنقضى بقية أيام غربتنا بخوف ويجعل لنا نصيباً معك فى الفردوس السمائى مع صفوف القديسين بشفاعات العذراء الطاهرة القديسة مريم آمين .

يوسف حبيب

† † †

الفصل الأول

ملخص سيرة القديس مكاريوس الكبير

ميلاده ونشأته

ولد هذا القديس حوالى سنة ٣٠١ م فى بلدة شبشير التابعة لمركز منوف من والدين بارين . كان أبوه ابراهيم كاهناً واسم زوجته ساره ولم يكن لهما ولد . ظهرت لأبيه رؤيا من قبل الرب أعلمه فيها أنه سيرزق إبناً يكون معروفاً فى جميع أقطار الأرض ويكون له أولاداً روحيين . وبعد قليل رزقت سارة بولد دعى مقار - أى الطوباوى .

واشتغل مقار فى إحضار النطرون من الوادى وكان لأبيه إبل كثيرة يستخدمها لهذا الغرض ، وأحبه أهل القرية ، ولمس فيه الكهنة والأساقف التقوى والوداعة فرسم اغسطسا (قارئا) وكان يشتاق إلى الحياة الملائكية ، ولكنه لما شب زوجه والداه بغير إرادته ، ولما كان فى البرية طلب مكاريوس من الله أن يرشده إلى ما يرضيه ، وإذ نام من التعب ظهر له ملاك الرب فى

رؤيا وقال له : « ان الرب قد أعطاك هذا الجبـــل ميراثاً لك ولبنيك من بعدك ... » .

عاد مقاريوس من البرية ، ولم يكن قرب زوجته ، ووجدها اشتدت عليها الحمى ثم فارقت الحياة ، ولحق بها والده بعد قليل ولم تمض ستة شهور حتى تنيحت والدته .

قام مقاريوس بتوزيع أمواله على المساكين والمحتاجين ، وزع عليهم كل ميراثه ، وكان بين المدعوين إلى الوليمة التى أقامها لهم أحد الرهبان المتنسكين ، فانتهز القديس الفرصة وكشف له عن أفكاره ورغبته فى الرهبنة والتنسك ، فأشار عليه الشيخ بأن يمضى بعيداً عن القرية ويسكن فى قلاية وحده .

وساعته قسا وانطلاقه الى الاسقيط

لما شـــاهد أهل القرية أعماله الحسنة قدموه إلى أسقف « أشمون » فرسمه قسيساً ولم يزل بعد شابا ، وصارت عليه نعمة الكهنوت وبعد ذلك سكن فى البرية الداخلية .

كان القديس مكاريوس يشتاق لحياة الرهبنة منذ زمن طويل ولكن أمراً عجل ذهابه للبرية - يرويه هو عن نفسه فيقول[1] :

(١) عن البستان .

« انى فى حال شبابى كنت جالساً فى قلاية فى مصر فأمسكونى وجعلونى قساً لضيعة وإذ لم أوثر أن أتقلد هذه الرتبة هربت إلى مكان آخر حيث يأتينى رجل علمانى تقى وكان يخدمنى ويبيع عمل يدى ... وفى يوم من الأيام حدث أن بتولا فى ذلك المكان سقطت فى زنى وحملت سفاحا ، فلما اشتهرت سئلت عمن فعل معها هذا الأمر فقالت : المتوحد ... ؟! وسرعان ما خرجوا علىّ وأخـذونى باستهزاء مربع إلى الضيعة وعلقوا فى عنقى قدوراً قذرة جداً وآذان جرار مكسورة . وشهروا بى فى كل شارع من شوارع الضيعة وهم يضربوننى قائلين : أن هذا الراهب أفسد عفة ابنتنا البتول ... وهكذا ضربونى ضربا مبرحا قربت بسببه إلى الموت إلى أن جاءنى أحـــد الشيوخ فقال لهم : إلى متى هذه الاهانة ؟ ، أما يكفيه كل ذلك خجلا فكانوا يشتمونه قائلين : ها هو المتوحد الذى شهدت له بالفضل أنظر ماذا فعل ؟ ، وأخيراً قال والدها : لن نطلقه حتى يأتينا بضامن يتعهد بالقيام بإطعامها فقال الشيخ لخادمى . اضمنه فضمننى ومضيت إلى قلايتى ودفعت اليه الزنابيل التى كانت عندى قائلا : بعها وادفع ثمنها لإمرأتى لتأكل بها . وخاطبت نفسى قائلا : كد يا مقارة ... ها قد صارت لك امرأة . فكنت اشتغل ليلا ونهاراً وأتعب لها لأقوم بإطعامها

فلما حان وقت ولادة الشقية مكثت أيام كثيرة وهي معذبة وما استطاعت أن تلد . فقالوا لها ما هذا ؟ فقالت ان كل ما أصابني كان بسبب اني قد ظلمت المتوحد واتهمته وهو برىء لانه ما فعل بي شيئاً قط ، لكن فلان الشاب هو الذي فعل بي هذا . فجاء إلى خادمي مسروراً وقال لي : ان تلك البتول ما استطاعت أن تلد حتى أعترفت قائلة: ان المتوحد لا ذنب له في هذا الأمر مطلقاً وقد كنت كاذبة في اتهامي له » ، وها أهل القرية كلهم عازمون على الحضور اليك يريدون أن يتوبوا اليك ويسألونك الصفح والغفران . فلما سمعت أنا هذا الكلام من خادمي أسرعت هارباً إلى الاسقيط . هذا هو السبب الذي لأجله جئت إلى جبل النطرون .

انطلق القديس بعدئذ إلى الإسقيط حوالى سنة ٣٣١ م ، ولم يفكر في العودة إلى قلايته مرة أخرى وقد ظهر له ملاك الرب وسار معه يومين حتى صعد إلى البرية ، فلما سأله الآب عن مكان يحدده له ليقيم فيه لم يجبه إلى طلبه وقال له : « لا ، لئلا تخرج منه فيما بعد فتكون مخالفاً لقول الرب بل البرية كلها لك ، فأي موضع أردت اسكن فيه ، فسكن في البرية الداخلية حيث دير البرموس الحالي .

غلبته للشياطين وزيارته لانبا انطونيوس

مكث في البرية زهاء ثلاث سنوات وكانت محاربات الشياطين تشتد عليه لكنه كان يتغلب عليها ثم مضى إلى القديس أنطونيوس ليستفيد بخبراته ، فعزاه وأرشده إلى طريق الرهبنة - ثم زاره مرة ثانية وألبسه إسكيم الرهبنة وزوده بنصائحه وإرشاداته ثم رجع إلى البرية المقدسة إلى قلايته وكان يثابر على الصلاة والصوم.

ولما توغل في الإسقيط لم يكن هناك أحد من النساك ولذلك يعتبر المؤسس الأول لهذه الديرية التي أخرجت العدد الكبير من القديسين على مر الأجيال - كما كان القديس أنبا أمون هو الراهب الأول الذي سكن في صحراء نتريا - ألف حوله بعدئذ كثير من التلاميذ وكان في المقدمة القديسان مكسيموس ودوماديوس ولما ملك الروم ، وكان القديس مكاريوس معجباً بسيرتهما المقدسة حتى أنه عندما كان يأتي الآباء إلى الآب الكبير مكاريوس لزيارته كان يأخذهم إلى قلاية هذين الأخوين ويقول لهم : « هلموا لتعاين مكان شهادة الغرباء الصغار » .

انتشار الرهبنة وبناء الأديرة

سكن كثيرون من الآباء حول مغارتهما وسمي ذلك الموضع دير الروم ، ودعي دير برموس نسبة لهذين الروميين ، ولما نظر

الآب مكاريوس كثرة الجموع ومحبتهم لله جعلهم اليه ليؤازروا بعضهم بعضاً وبنى لهم كنيسة حسنة يتقربون فيها وهى على اسم السيدة العذراء .

إذن تكون هذه الكنيسة التى أنشأها الآب مكاريوس الكبير هى أول كنيسة بنيت فى الإسقيط على اسم السيدة العذراء.

تكاثر التلاميذ الذين ألبسهم القديس مكاريوس زى الرهبنة حتى بلغ بضع مئات جاءوا اليه من أنحاء متفرقة بعد ما ذاع صيت فضائله فى كل مكان وفاح عبير نسكه وطيب قداسته فى كل الاصقاع . لم يسع هذا الدير الجموع الزاخرة فبنى كنيسة أخرى مكانها دير القديس مكاريوس الموجود حاليا ، ورأى القديس قبل نياحته هذين الديرين كما رأى دير القديس يحنس القصير ودير القديس بيشوى تلميذى القديس أنبا بموا تلميذ القديس مكاريوس الكبير ، وكانت كلها عامرة بالرهبان ، فإنه كان يأمر الرهبان أن يكونوا فى المواضع التى فيها جموع الإخوة وجعلها تسمى بأسمائهم فدعى الديرين الأخيرين دير الأنبا يحنس ودير الأنبا بيشوى . وهكذا رأى زرعه الروحانى ينمو ، والأثمار التى أقامها على الأرض متنقلة بالاثمار الشهية .

نفى مع سميه القديس مكاريوس الاسكندرى ومع رهبان

كثيرين حوالى سنة ٣٧٥ م إلى جزيرة أنس الوجود بأسوان ، وحدث أثناء نفيه أن إبنة كاهن هيكل الأوثان بالجزيرة اعتراها روح نجس ولم يستطع أحد أن يشفيها ، وشفاها القديس مكاريوس الكبير بقوة السيد المسيح فآمن أبوها الكاهن الوثنى، وما لبثت الجزيرة كلها أن آمنت بالسيد المسيح وتعمد أهلها .

وهكذا كان القديس مكاريوس فى منفاه مصدر بركة لسكان الجزيرة وسبب خلاص لنفوسهم .

نياحته ونقل جسده

تنيح القديس مكاريوس فى يوم ٢٧ برمهات - على الأرجح سنة ٣٩٠ م - بالغاً من العمر تسعين عاما ، وكان الرب قد أعلن له يوم انتقاله ، وهكذا انتقل إلى السماء تاركا بريته عامرة بالملائكة الأرضيين .

دفن فى مغارة بالقرب من الكنيسة التى كان قد بناها، ونظراً لكثرة المعجزات التى حدثت من جسد القديس بعد نياحته أتى قوم من شبشير بلده بقصد سرقة جسده ونقله إلى بلدتهم وقد نجحوا فى ذلك ، وأودع جسد القديس فى كنيسة جديدة فى شبشير وظهرت منه عجائب كثيرة ، ولما خربت البلدة فى القرن الثامن حدث أن « يوسف » عمدة قرية على « Elmi » بناحية المنوفية اتخذ اللازم لنقل الجسد إلى هذه القرية حوالى سنة ٧٨٠ ش (٧٨٤ م) وبنى له كنيسة جديدة .

ويذكر التاريخ أن رهبان دير القديس مكاريوس فى أيام بطريركية الأنبا يوحنا الرابع (٧٧٥ - ٧٩٩ م) مضوا إلى « علس » وتمكنوا بعد جهد من إعادة الجسد - وأودع الجسد فى كنيسة القديس مكاريوس الكبير مع جسد القديس مكاريوس الاسكندرى والقديس مكاريوس أسقف أذكو والقديس يوحنا القصير .

وورد فى بعض المصادر التاريخية أن جسده نقل لكنيسة « أبا مقار » فى أيام بطريركية أنبا يعقوب حوالى سنة ٨٣٠ م ويقول ايفلين هوايت [1] فى ذلك أنه يبدو أن جسد القديس مكاريوس نقل إلى هيكل بنيامين فى أيام بطريركية القديس يوحنا وأعيد نقله فى أيام بطريركية القديس يعقوب حوالى سنة ٨٣٠ م فإن الكنيسة السابقة كانت تهدمت فى غارة الأديرة سنة ٨١٧ م وجددت حوالى سنة ٨٢٥ - ٨٣٠ م (تاريخ البطاركة Evetts ص ٥٧٤) ويكون التاريخ الأخير هو آخر تاريخ نقل فيه جسد القديس [2] .

(١) ص ١٣٠، ١٣١، ١٣٤ الجزء الأول من كتاب ايفلين هوايت.

(٢) ذكر السنكسار تحت يوم ١٩ مسرى أن جسده ظل بمقبرته بلده حتى نقل إلى ضيعة أخرى مكث فيها إلى زمان الأبا ميخائيل الثالث (٧١) فى القرن الثانى عشر، ويذكر كتاب الثلاثة مقالات لدير السريان أن تاريخ إعادة جسده موضع اختلاف بين المؤرخين .

الفصل الثانى

من أقوال القديس وأعماله

« وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات » مت ٥ : ١٧

سترى من أقواله التى سننشر القليل منها مقدار روحانيته ومدى تعمقه فى حفظ وصايا الكتاب المقدس كان ساهراً ومجاهداً حتى النفس الأخير ، كان المتحدث عن الفضائل العامل بها ، وبالحقيقة تم عليه قول الكتاب « وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات » مت ٥ : ١٧ .

(١) ١ - جهاده فى الصلاة

« بالصلاة تمتد محبة على الفكر تحجبه عن الارضيات وتشغله فى أمور سماوية لا نهاية لها فيدرك أشياء أكيدة عجيبة لا يمكن وصفها بفم إنسان »

القديس مكاريوس

ذكر عنه أحد الإخوة أنه كان يتردد عليه أربعة شهور يومياً ليسأله عن كلمة ينتفع بها فما وجده متفرغاً من الصلاة ولا مرة واحدة، تعجب الأخ من ذلك وقال هذا ملاك وليس إنسان.

وذكر عنه أنه كان دائب الصلاة فكان يصلي مائة مرة في اليوم.

ب ـ من أقواله في الصلاة

† غصب النفس على الصلاة

يجب على الإنسان أن يغصب نفسه على الصلاة عندما يجد نفسه فارغة من ثمارها. وعندما يرى الله جهاده وتغصبه يعطيه الصلاة الروحانية الحقيقية التي بلا تغصب...

† رفع العقل إلى الله

... افحص قلبك وضميرك واشته أن تكون صلاتك نقية واحذر أن يعترضها ما يخل بها بل اجعلها نقية واربطها بالله كما يربط الفلاح عقله في فلاحته والتاجر في تجارته وان لا يشتت عقلك إذا ما جئوت للصلاة ...

† أفراح النفس المقدسة بالله

† ... يدخل الإنسان الصلاة ويركع ويمتلىء قلبه قوة إلهية

وتفرح نفسه بالرب كما تفرح العروس مع عريسها حسب قول أشعياء النبي (٦٢ : ٥) ويفرح أيضا العريس بعروسه ... ليس عسيراً على الإنسان الذي ظل طول النهار مشغولا بأعمال العالم أن يخصص نفسه للصلاة ساعة معينة، يختطف فيها الإنسان الباطن إلى كثرة تعبد في تأمل العالم الآخر الذي لا نهاية له بحلاوة كثيرة فيهدأ عقله ويتغرب عن مشاغل العالم إذ يرتفع وينتقل إلى هناك، وحينئذ تمتد سحابة على أفكاره تحجبه عن الأرضيات وتشغل ذهنه في أمور سماوية لا نهاية لها فيدرك أشياء أكيدة عجيبة لا يمكن وصفها بفم إنسان ...

† أن النفس التي تأتي اليه باشتياق ... والتي التصقت بالرب وإن يكن الجسد يلقى على الأرض فانها تكون منطلقة إلى أورشليم السمائية العليا متحدة بالرب اتحاداً شديداً تخدمه هناك...

† ... ما دامت النفس ذاكرة اسم ربنا يسوع المسيح الذي صار لنا أخا بالتدبير فإنه يكون في كل وقت ممسكا بيدها وإن أراد الأعداء الغير المنظورين خداعها فلا يستطيعون أن يفعلوا بها شيئاً لأن أخاها ممسك بيدها، وان هي خضعت للأفكار ومالت للذات العالم فلن تستطيع إكمال الخطية لأن أخاها ممسك

بيدها إن هي تمسكت في كل وقت بالاسم المخلص الذي لربنا يسوع المسيح ولم ترخه - أرأيت يا حبيب كيف أن التمسك بهذا الذكر الصالح الذي لاسم ربنا يسوع المسيح هو خلاص عظيم وحصن منيع وسلاح لايقهر وخاتم خلاص النفس ؟ فلا تتوان عن أن تقتني لنفسك هذا الكنز الذي لايسرق وهذه الجوهرة الكثيرة الثمن التي هي اسم ربنا يسوع المسيح ذلك الاسم المخلص . فإن سألتني قائلا وكيف اقتني هذا الكنز العظيم ؟ أجبتك قائلا بالعزلة عن كل أحد وعدم الاهتمام بكافة الأشياء وأتعاب الجسد بقدر - والصوم ، فهذه كلها تلد الاتضاع والدموع الصادقة وتجعلك أن تكون تحت كل الخليقة . فإذا ما حصلت على كل ذلك صرت ابناً لله وأنت على الأرض وتنتقل من الأرض إلى فوق في السماء وأنت كائن في الجسد . كل نعمة هي منك ولك يارب . انك تصنع الرحمة مع ضعفنا حتى تنقلنا إلى ملكوتك .

✝ أن الذي يلازم الصلاة يقتني أفضل الأعمال إذ هو محتاج إلى جهاد أكثر من سائر الأعمال ، لذلك ينبغي له الحرص الدائم والصبر والتعب لأن الشرير يناصبه العداء ويجلب عليه نعاسا وكسلا وثقل جسد وانحلالا وضجراً وأفكاراً مختلفة وطياشة عقل وحيلا كثيرة محاولا ابطالها (الصلاة) ، لذلك يلزمه الجهاد

إلى الدم مقابل أولئك الذين يطلبون إبعـــاد النفس عن الله ، وليتيقظ مراقباً ذهنه - مطارداً الأفكار المضادة بشدة وطالباً من الله عوناً وفهما .

✝ داوم ذكر الاسم القدوس اسم ربنا يسوع المسيح فهذه هي الجوهرة التي من أجلها باع التاجر الحكيم كل هوى قلبه واشتراها وأخذها إلى داخـــل بيته فوجدها أحلى من العسل والشهد في فه ، فطوبى لذلك الإنسان الذي يحفظ هذه الجوهرة في قلبه فإنها تعطيه مكافأة عظيمة في مجد ربنا يسوع المسيح .

✝ قال له أخ : أني جبان بسبب خطاياي فماذا أعمل يا أبي ؟ قال له الشيخ : تقو وتمسك برجاء الحياة والرحمة التي لا حد لها الذي هو اسم ربنا يسوع المسيح .

✝ حدث أن زار الأنبا بيمين الأنبا مكاريوس فقال الأنبا بيمين : يا أبي ماذا يعمل الإنسان كي يقتني الحياة ؟ فقال الأنبا مقاريوس : إن أنت داومت كل حين على طعام الحياة الذي للاسم القدوس : اسم ربنا يسوع المسيح بغير فتور فهو حلو في فمك وحلقك وبترديدك إياه تدسم نفسك وبذلك يمكنك أن تقتني الحياة التي هي أشواق نفسك ، وهي الأشواق الصالحة التي يجب أن تخدم بها الله نهاراً وليلا لأن الله لايطلب أن تمجـــده

بشفتيك فقط بينما تطيش أفكارك بأباطيل العالم ، لكنه يريد ألا تقف أمامه وأفكارك تنظر اليه بدون التفات .

† ... كمثل الحديد الذى إذا طرحته فى النار يصير أبيضاً ونقى من الشوائب ، كذلك النفس إذا ما حل فيها الروح القدس المعزى وسكن فيها فانها تصير نقية كالملح متلألئة ببياض الفضيلة فتنسى الأرضيات وتشتاق إلى السمائيات وتوجد فى كل وقت سكرى بالإلهيات شغوفة بالعلويات . وذلك من أجل نقاوتها وطهارتها حتى يظن الانسان أنه قد انتقل من هذا العالم إلى الحياة الأبدية بربنا يسوع المسيح - ويرى الجزاء الكامل العادل العتيد أن يكون للأبرار والقطاة فى الدهر الآتى الذى لن يزول ، الدائم إلى الابد .

† ... كما أن المطر إذا سقط على الأرض تنبت وتنتج الثمار وفى ذلك راحة وفرح للناس ، كذلك الدموع إذا ما وقعت على قلب أثمرت ثماراً روحانية وراحة للنفس والجسد معاً .

جـ - تدريب تلاميذه

كان يعلم تلاميذه بأن يواظبوا على الصلاة كل حين ولا يملوا قائلا لهم ليس بضرورى أن تكون الصلاة طويلة بل يكفى أن

ترفع أيدينا إلى الله ونقول : اصنع معنا الرحمة بالنوع الذى يرضيك . أما حينما تداهمنا التجارب فيلزمنا أن نصرخ اليه هكذا « يا إلهنا أعنا » والله يعلم ما هو النافع والموافق لنا فلا يتغافل عن معونتنا .

(٢) - ا - صبره فى الجهاد الروحى وشدة نسكه

« قو قلبك يا ابنى فإنى أقمت عشرين سنة لم أشبع من خبز ولم أرتو من ماء أو أكثر من نوم ، كنت آكل خبزى فى حدود ، أما عن النوم فكنت استند إلى الحائط فاختلف يسيراً منه ... »

مكاريوس الكبير

ب - تدريب لتلاميذه على قمع الجسد

كان أحد تلاميذه يتحدث معه وقت الظهيرة وشعر بعطش شديد فطلب منه إذناً بتناول قليل من الماء فأجابه قائلا : « اكتف الآن بأن تستريح تحت هذه الشجرة فى ظلها متذكراً أنه يوجد كثيرون من البشر فى هذه الساعة سائرين براً وبحراً دون أن يحصلوا على هذا الظل الذى أعطى لك للستظل به ثم شجعه فى جهاده » .

† اجتهد للسير فى الطريق الضيق لتدخل مدينة السلام أورشليم المهيأة كعروس لعريسها ، ولكن الطريق اليها تعوزه دموع تذرف ليلا ونهاراً .

† أن قوة نعمة الله فى الانسان عندما تحسب النفس أمينة لقبول الحكمة تعدها لنوالها بعد جهاد عظيم وصبر كثير وتجارب متنوعة واختبار إرادتها ، فاذا احتملت النفس ولم تحزن الروح القدس فإنها تحسب أهلا لأن تطلق من شدائدها لتنال ملء الروح وغنى الحكمة التى ليست من هذا العالم . وأما النفس التى وصلت إلى درجة الحب المشتعل أنها تعمل أعمال البر بلا إحصاء ثم تظن ـ بسيرتها انها لم تفعل شيئاً البتة بسبب الحب الحار المشتعل فيها نحو الله . ومع انها تميت الجسد بالأصوام والسهر فلا تكف قط عن ممارسة الفضائل كأنها لم تتعب قط وإذ تحسب أهلا لمواهب الروح المختلفة إلا أنها بسبب حبها المتأجج لله تظهر بالرغم من ذلك كأنها ليست أهلا لشىء ولا تملك فى ذاتها شيئاً .

† لم يسمع قط أن إنسانا استطاع أن يحيا مع المسيح دون أن يتحرر عقله من هموم العالم والقيود الارضية ـ سواء كانت

بالحب الطبيعى المغروس فينا أو من جهة الشهوة الفاسدة التى تعمل فينا لحرماننا من الحياة الأبدية ، فإن كانت النفس تخصص ذاتها للمسيح فقد التصقت بالرب وصارت لله روحا واحداً (١ كو ٦ : ١٧) وان كانت قد سلمت نفسها لغرور الحياة وهموم الغنى (مت ١٣ : ٢٢) وسعت وراء الشهرة أو المركز العالمى والكرامة والفخر فقد انعدمت منها القدرة على الالتصاق بالمسيح .

† ان الشر يفعل فينا حقا بقوة ويحرك كافة الشهوات الدنسة والفاسدة فينا لأن هذه هى طبيعته ، ولكن من مراحم الرب أنه غريب عن طبعنا ولا يمتزج بطبيعتنا قط كامتزاج الماء بالخمر مثلا بل يكون منفصلا كوجود الزوان مع القمح فى الارض .

† الذين التهبوا بشهوة الروح السماوية المقدسة الذين سبت قلوبهم بحب الله وتأججت فيهم النار الالهية التى جاء الرب لالقائها على الارض وهو لا يريد إلا اضطرامها ، هؤلاء جميعاً ينظرون إلى الأشياء التى فى هذا العالم ، الثمينة والمعتبرة جداً كأنها أشياء كريهة بسبب نار حب المسيح المشتعلة فى قلوبهم ليلا ونهاراً .

† على الانسان أن يداوم الجهاد والحرب مع أفكاره

لان الرب يطلب منك أن تغصب نفسك لكى لا ترتضى بالافكار الشريرة ولا توافقها ، أما استئصال الخطية فلا يتم إلا بالقوة الإلهيـــة .

† ينبغى أن تقاتل طبيعتك فى عاداتها القديمة وشهواتها التى تمت معك ، وعند مقاومتك للعادة والطبع ستصادف أفكاراً مضادة من عدو الخير ، تردك إلى عمل الامر الذى تسعى للتحرر منه وخرجت منه بجهاد شديد فعليك أن تضاعف حربك وتقدم لنفسك أدلة وبراهين لكشف قوة الظلام الخفية الخادعة الكائنة فى القلب ، واعلم أن الرب قريب من نفسك وجسدك بحيث يرى قتالك إلا أنه يتركك لتأخذ معرفة وكفاءة إلى أن تتقوم . وأيضاً تهديك النعمة إذا إزدادت ضيقتك ، وبعد أن تصل إلى الراحة تعرفك النعمة بنفسها وتبين لك جهراً انها تركتك تتدرب لاجل خيرك ـ قد علمت يا رب ان أحكامك عادلة وبحق إذللتنى مز ١١٨ : ٥٤ ، خير لى انك أذللتنى لكى أتعـــلم حقوقك مز ١١٨ : ٥١ .

† ... يحرث الفلاح الارض ثم ينتظر الندى والامطار من فوق فإذا لم يأت الماء من فوق يصير الكرم بلا ثمر ويصبح الكرام بلا مكسب من فلاحته ، هكذا أيضاً فى الروحيات يجب

أن يعمل ويجاهد كل إنسان بارادة وعزيمة ، لان الله يطالب كل إنسان بكده واجتهاده وعمل يديه ، ولكن إذا لم تدركه نعمة الله من فوق ويشـــرف عليه سحاب جوده وتحته يبقى بلا ثمرة من جهاده .

† يحرث الفلاح ويجتهد ويضع بذاره فى الارض ثم يقف منتظراً المطر فإذا لم تظهـــر السحب وتهب الرياح والعواصف يصير جهاد الفلاح وعمله بلا فائدة . وتبقى البذور عارية لطيور السماء لتلتقطها هكذا الإنسان المتكل على عمله ، الذى لا ينظر إلى فوق بل يكتفى بعمل يديه فهما كان جهـــاده وصلاته وتقشفه وبعده عن الماديات ومحبته للإخوة الغرباء فإنه لا يأخذ ثمار جهاده وحبه إذا لم يشرق عليه غنى الله وعمل النعمة ويهب عليه الروح القدس ويتساقط عليه ندى رحمة الله .

† مكتوب أن الكرام عندما يرى غصنا حاملا ثمراً فإنه ينقيه ليأتى بثمر أكثر ، وعندما يرى آخر غير مثمر فإنه يقطعه ويلقيه فى النار ، هذا هو نصيب الانسان ، كفرع فى الكرمة يقدم صلواته وأسهاره وأصوامه ومحبته وغربته عن العـــالم لا كأنها صادرة منه ، بل من الله أصل كل الخيرات والفضائل وليقل لولا أن الرب أعانتى ما كنت صليت أو سهرت أو صمت

أو خرجت من العالم . ولا يفتخر فى نفسه بجهاده بل ينسب كل شىء إلى أصله .لذا حينما يرى الله غرض الانسان وأنه لايود أن ينسب شيئاً إلى ذاته بل ينسب كل عمل حربته وإرادته إلى الله فإنه يمنحه أشياء فوق إرادته وفوق استطاعته : فرح فى الروح وسلام فى القلب .

✝ « ... أن طول الروح هوصبر والصبر هو الغلبة والغلبة هى الحياة والحيـــاة هى الملكوت والملكوت هو الله سبحانه وتعالى . البئر عميقة ولكن ماؤها طيب عذب ، البـاب ضيق والطريق كرب ولكن المدينة مملوءة فرحاً وسروراً . البرج شامخ حصين ولكن داخله كنوزاً جليلة ـ الصوم ثقيل صعب لكنه يوصل إلى ملكوت السموات ـ فعل الصلاح عسير شاق ولكنه ينجى من النار برحمة ربنا الذى له المجد إلى الابد آمين » .

✝ أتى إلى القديس مكاريوس يوما أحـد كهنة الاصنام ساجداً له قائلا: « من أجل محبة المسيح عمدنى ورهبنى » فتعجب الآب من ذلك وقال له : اخبرنى كيف جئت إلى المسيح بدون وعظ . فقال له : «كان لنا عيد عظيم وقد قمنا بكل ما يلزمنا ، وما زلنا نصلى إلى منتصف الليل حتى نام الناس وفجأة رأيت داخل أحد هياكل الاصنام ملكا عظيما جالسا وعلى رأسه تاج

جليل وحوله أعوانه الكثيرين فأقبل اليه واحد من غلمانه فقال له الملك من أين جئت ؟ فأجاب من المدينة الفلانية . قال: وأى شىء عملت ؟ قال ـ القيت فى قلب امرأة كلمة صغيرة تكلمت بها إلى امرأة أخرى لم تستطع احتمالها فأدى ذلك إلى قيام مشاجرة كبيرة بين الرجال تسبب عنها قتل كثيرين فى يوم واحـد ... فقال الملك : أبعدوه عنى لانه لم يعمل شيئاً ـ فقدموا له واحداً آخر فقال له : من أين أقبلت ؟ قال : من بلاد الهند قال له : وماذا عملت ؟ أجاب وقال : دخلت داراً فوجـدت ناراً قد وقعت من يد صبى فأحرقت النار الدار فوضعت فى قلب شخص أن يتهم شخصاً آخـر وشهد عليه كثيرون زوراً بأنه هو الذى أحرقها . قال : فى أى وقت فعلت ذلك ؟ قال فى نصف الليل . فقال الملك : أبعدوه عنى خارجا ، ثم قدموا اليه ثالثا . فقال له من أين جئت ؟ أجاب وقال : كنت فى البحر وأقمت حربا بين بعض الناس فغرقت سفن وتطورت إلى حرب عظيمة ، ثم جئت لأخبرك .

(٣) قتال روحى مرير للرهبان

« وأن القديس القى بنفسه على الارض وابتهل إلى الله بدموع لكى يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم .

فقال الملك: أبعدوه عنى ، وقدموا له رابعاً وخامساً وهكذا أمر بإبعادهم جميعاً بعد أن يصف كل منهم أنواع الشرور التى قام بها حتى آخر لحظة . إلى أن أقبل اليه أخيراً واحد منهم فقال له: من أين جئت ؟ قال : من الإسقيط . قال له : وماذا كنت تعمل هناك ؟ قال : لقد كنت أقاتل راهباً واحداً ولى اليوم أربعون سنة وقد صرعته فى هذه اللحظة واسقطته فى الزنا وجئت لاخبرك فلما سمع الملك ذلك قام منتصباً وقبله ونزع التاج من على رأسه وألبسه إياه وأجلسه مكانه ووقف بين يديه وقال : حقاً لقد فقت بعمل عظيم . فلما رأيت أنا كل ذلك وقد كنت محتبئاً فى الهيكل قلت فى نفسى . ما دام الامر كذلك فلا يوجد شيء أعظم من الرهبنة . وللوقت خرجت وجئت بين يديك . فلما سمع الآب منه هذا الكلام حمده ورهبنه وكان فى كل حين يقص على الإخوة أمر هذا الرجل الذى أصبح بعد ذلك راهباً جليلا .

✝ جاء عن القديس مكاريوس أنه كان فى وقت ما سائراً فى أقصى البرية فأبصر شخصاً هرما حاملا حملا ثقيلا يحيط بسائر جسمه وكان ذلك الحمل عبارة عن أوعية كثيرة فى كل منها ريشة وكان لابساً إياها بدلا من الثياب . فوقف مقابله وجعل لوجه يتأمله وكان يتظاهر بالخجل تظاهر اللصوص المحتالين ، فقال

البار . ماذا تعمل فى هذه البرية نائما وهائماً على وجهك ؟ فأجابه الآب : أنا تائب طالب رحمة السيد المسيح ولكن أسألك أيها الشيخ باسم الرب أن تعرفنى من أنت ؟ لأنى أرى منظرك غريبا عن أهل العالم كما تعرفنى أيضاً ما هى الأوعيـــة المحيطة بك ، وما هو هذا الريش أيضاً ، وقد كان الثوب الذى عليه مثقوبا كله. وفى كل ثقب قارورة - فأقر العدو بغير اختيـــاره وقال : يا مقاريوس أنا هو الذى يقولون عنه شيطان محتال ، أما هذه الأوعية فبواسطتها أجذب الناس إلى الخطية ، وأقدم لكل عضو من أعضائهم ما يوافقه من أنواع الخديعة - وبريش الشهوات اكحل من يطيعنى ويتبعنى ، وأسر بسقوط الذين اغلبهم ، فاذا أردت أن أضل من يقرأ نواميس الله وشرائعه فما علىّ إلا أن أدهنه من الوعاء الذى على رأسى ، ومن أراد أن يسهر فى الصلوات والقسابيح فإنى آخـــذ من الوعاء الذى على حاجبى وألطخ عينيه بالريشة وأجلب عليه نعاساً كثيراً واجذبه إلى النوم . والأوعية الموجودة على مسامعى فهى معدة لعصيان الأوامر وبها اجعـــل من يسمع إلىّ لا يذعن لمن يشـــير عليه والتى عند أنفى تجذب الشاب إلى اللذة ، أما الأوعية الموضوعة عند فمى فبواسطتها أجذب النساك إلى الأطعمة . وبها أجذب الرهبان إلى الوقيعة

والكلام القبيح ، وبذور أعمالى كلها أوزعها على من كان عاشقا ، ليعطى أثماراً لائقة بى ، فأبذر بذور الكبرياء . أما من كان على ذاته متكلا فإنى أجعله يتعالى بالأسلحة التى فى عنق . والتى عند صدرى فهى مخازن أفكارى ومنها أسقى القلوب بما يؤدى إلى سكر الفكر وأشتت وأبعد الأفكار الصالحة من أذهان أولئك الذين يريدون أن يذكروا مستقبل حياتهم الأبدية ـ أما الاوعية الموجودة عند جوفى فهى مملوءة من عدم الحس وبها أجعل الجهال لا يحسون وأحسن لهم المعيشة على مذبح الوحوش والبهائم ـ أما التى تحت بطنى من شأنها أن تسوق إلى مثل سائر أنواع وضروب الزنى والعشق واللذات القبيحة ، والتى على يدى فهى معدة للضرب والقتل ، والمعلقة وراء ظهرى ومنكبى فهى مملوءة من أنواع المحن المختصة بى وبها أقارع الذين يرومون محاربتى فأنصب خلفهم فخاخا . وأذل من كان على قوته متكلا ، والتى على قدمى فهى مملوءة عثرات أعرقل بها طرق المستقيمين ومن شأنى أن أخلط فى بذر فلاحتى صنوفا من الحسك والشوك . والذين يحصدون منها يساقون إلى أن ينكروا طريق الحق . وبعد أن قال هذا صار دخانا واختفى : **وان القديس القى بنفسه على الأرض وابتهل الى الله بدموع لكى يحارب بقوته عن الضعفاء سكان البرية ويحفظهم .**

(٤) سهره فى العمل

« وأما ثروة النفس الكريمة فهى الاجتهاد »
أم ١٢ : ٧ .

لما زار القديس مكاريوس القديس أنطونيوس أخذ كل منهما يضفر الخوص طول الليل ، وفى الصباح رأى أنطونيوس أن مقاريوس قد ضفر كثيراً فقال له : « أن قوة كبيرة تخرج من هاتين اليدين ... » .

* * *

(٥) ريحه النفوس بقدوته الطيبة

« رائح النفوس حكيم » أم ص ١١ : ٣٠

قيل أن القديس مكاريوس ذهب فى إحدى المرات من الإسقيط إلى جبل نتريا ولما اقترب من مكان معين قال لتلميذه تقدمنى قليلا ، ولما فعل التلميذ هذا قابله كاهن وثنى كان يجرى حاملا بعض الخشب ، وكان الوقت حوالى الظهر . فصرخ نحوه الأخ قائلا يا خادم الشياطين إلى أين أنت تجرى ؟ ، فاستدار الكاهن وانهال عليه بالضرب الشديد وتركه بين ميت وحى ثم حمل ما معه من خشب وسار فى طريقه .

ولما ابتعد قليلا قابله الطوباوى مقاريوس فى الطريق وقال له فلتصحبك المعونة يا رجل النشاط ، فاندهش الكاهن وأقبل نحوه وقال : « أى شىء حسن رأيته فى حتى حيبتنى هكذا ؟ » فقال الشيخ : « إنى أرى أنك تكد وتسرع ، وان كنت لا تدرى لماذا ؟ » فأجاب الكاهن وقال : « وأنا إذ تأثرت بتحيتك عرفت انك تنتمى إلى الإله العظيم ولكن هناك راهباً شريراً صادفنى قبلك ولعننى فضربته ضرب الموت » ، فعرف الشيخ أنه تلميذه ، أما الكاهن فأمسك بقدمى مقاريوس الطوباوى وقال له: « لن أدعك تمضى حتى تجعلنى راهباً » وإذ سارا معاً وصلا إلى المكان الذى كان فيه الأخ مطروحا ، وحملاه وأتيا به إلى كنيسة الجبل ، ولكن الإخوة عندما رأوا الكاهن الوثنى مع المغبوط مكاريوس تعجبوا كيف تحول عن الشر ، وأخذه الآنبا مكاريوس وجعله راهباً (بعد العماد) وعن طريقه صار كثير من الوثنيين مسيحيين ، وكان القديس مكاريوس يقول : « إن الكلمات الشريرة والمتكبرة تحول الناس الأخيار إلى أشرار ، ولكن الكلام الطيب المتواضع يحول الأشرار أخياراً » .

† † †

« ... إن الإنسان الذى يأسف على فقد شىء من المال فليس بكامل بعد ، وان كنا قد أمرنا أن نرفض أنفسنا وأجسادنا فكم بالحرى المقتنيات ... ان الشياطين تحترق بهذه الفضيلة وأمثالها عندما يرون إنسانا غير ملتفت إلى الأشياء وليس يتأسف عليها إذا فقدها ... » .

القديس مكاريوس

١ ـ وردت القصة التالية فى الرسالة الثانية والعشرين للقديس جيروم (ايرونيموس) التى أرسلها إلى تلميذته يوستوخيوس: قال سأقص عليك حادثا وقع منذ سنوات ليست بكثيرة فى نتريا :

حدث أن أعما عن طريق التدبير والاقتصاد وليس عن طريق البخل ، نسى أن المسيح قد بيع بثلاثين من الفضة ، فترك هذا الأخ وراءه عند موته مائة قطعة من الذهب وبهما من نسج الكتان ، فعقد الرهبان مجمعا ليقرروا ماذا يعمل بخصوصها إذ كان هناك خمسة آلاف منهم يعيشون فى المنطقة المجاورة له فى

قلالى منفـــردة ... فقال البعض أن المال يجب أن يوزع على الفقراء ، وقال آخرون يجب أن يعطى للكنيسة وقال غيرهم : يجب أن يرسل إلى أبوى الأخ المتوفى .

ولكن مكاريوس وبامو وايسيذورس وآباء آخرين يتكلم الروح القدس بواسطتهم ،قرروا أنه يجب أن تدفن القطع الذهبية مع صاحبها قائلين : لتكن فضتك معك للهلاك .

وينبغى ألا يفكر أحد فى أن ذلك القرار كان قاسيا ، لأن خوفا عظيما وقع على كل الذين فى مصر ، حتى أنها تعتبر جريمة الآن أن يترك أحد وراءه قطعة ذهب واحدة [1].

ب ـ أثر هذا الدرس فى نفوس الرهبان :

ذكر البستان القصة التالية :

قيل أن أحد الكبراء أتى من القسطنطينية إلى برية القديس مكاريوس ومعه مبلغ من المال ، طاف به على قلالى الرهبان فلم يأخذ أحد منه شيئاً فتعجب الرجل وأخبر القديس مكاريوس بذلك وقال له « لأجل محبة المسيح أقبل منى هذا القليل من المال

(١) عن كتاب الثلاثة مقالات لدير السريان ص ١١٨ .

فقال له القديس نحن من نعمة الله مكتفين وليس لنا احتياج إلى هذا لأن كلا من الاخوة يعمل بأكثر من حاجته ، فحزن ذلك الامير وقال : « يا أبتاه من أجل الله ، لا تخيب تعبى وأقبل منى هذا القليل الذى احضرته » فقال له الشيخ : « امض يا ولدى وأعطه للاخوة » فقال له « لقد طفت عليهم جميعاً فلم يأخذوا منه شيئاً كما أن بعضهم لم ينظر اليه البتة ... » فلما سمع الشيخ فرح وقال له : أرجع يا ابنى بمالك إلى العالم وأهله لأننا نحن أناس أموات عن العالم ، فلم يقبل الامير ذلك،فقال له القديس أصبر قليلا ، وأنه أخذ المال وأفرغه على باب الدير وأمر بأن يضرب الناقوس فحضر سائر الإخوة وكان عددهم ٢٤٠٠ راهباً ثم وقف الآب وقال : « يا اخوة من أجـل محبة السيد المسيح ان كان أحدكم محتاجا إلى شىء فليأخذه بمحبة من هذا المال » ، فعبر جميعهم ولم يأخذ واحد منهم شيئاً .فلما رأى الامير منه ذلك صار متعجبا متفكراً ثم ألقى بنفسه بين يدى الآب وقال : « من أجل الله رهبنى » فقال له القديس انك إنسان كبير ذو نعمة وجاه ومركز وشقاء الرهبنة كثير ، وتعبها مرير ، فجرب ذاتك ثم اخبرنى فقال ، وبماذا تأمرنى أن أفعله من جهة هذا المال ؟ فقال له عمر به موضعاً بالاديرة ففعل وبعد قليل صار راهباً .

« ... أنا لم أصر بعد راهباً لكن رأيت رهبانا ... !! »

القديس مكاريوس

أتى الأنبا مقاريوس يوما من الإسقيط إلى جبل نتريا فقال له الشيوخ « قل كلمة للإخوة أيها الآب » فأجابهم قائلا : « أنا لم أصر بعد راهباً لكنى رأيت رهباناً ... » .

كان الاتضاع من أبرز الصفات التى تحلى بها القديس وكان يقول إذا كانت الكبرياء تعتبر شر الرذائل كلها حتى أنها طرحت طغمة من الملائكة من علو السماء ، فبلا شك أن التواضع أعظم الفضائل كلها .

ويروى التاريخ محاورة الشيطان له إذ ظهر له وهو يحمل خوصاً وقال له : « ويلاه ... يا مقاريوس ما تصنعه فإياه أصنع وأكثر . انك تصوم وأنا لا آكل ، أنت تسهر وأنا لا أنام ، ولكن بشىء واحد تغلبنى قال وما هو ؟ أجابه الشيطان انك تغلبنى بالاتضاع وبه وحده تقهرنى » .

إعلانات الله له عن الاتضاع لمنفعته ومنفعة أولاده

قيل أنه فيما كان القديس يصلى وافاه فكر العظمة والإفتخار.

فسمع للحال من يقول له انك لم تبلغ إلى الآن فضيلة امرأة أرملة تسكن مع امرأة ابنها بمحبة كاملة فى مدينة الاسكندرية ويمكنك أن تشاهد فضيلتها عياناً ، فلما سمع الآب هذا الاعلان أتقد بنار الرغبة لمشاهدة هذا الأمر وقام لوقته إلى الاسكندرية بعد أن زود رهبانه بالنصائح وبتدبير الله استدل على منزلهما وقرع الباب ففتحت له احداهما فاستدعاهما وخاطبها قائلا : « أنى من أجلكما قد عانيت مشقة السفر ومتاعب البرية وما ذلك إلا شوقا لأعلم ماذا تصنعان وما هى حالة معيشتكما ، فقالتا له « هل يمكنك أن تجد صلاحا فى امرأتين متزوجتين يعيشان فى لذة ونعيم ؟ » فألح عليهما فقالتا له : أننا اقترنا بسر الزواج مع أخوين من مدة ١٥ سنة وقد مضت هذه المدة بدون أن يخرج من فم الواحدة كلمة تغيظ الأخرى ولم يحدث بيننا خصام أو شبه خصام قط ، وأن الواحدة منا لا تميز أولادها عن أولاد الأخرى بل تهتم بما يرضى أولاد الأخرى قبل أولادها ، ثم قالتا له : قد تعاهدنا أمام مخلصنا أن نعيش هكذا كل أيام حياتنا ونطلب منه تعالى أن يساعدنا على القيام بعهدنا ، فلما سمع القديس خبرهما هتف قائلا: « حقاً أن الله يمنح المتزوجين كما يمنح المتبتلين وأنه تعالى لا ينظر إلا للضمائر والقلوب ويمنح روحه القدوس لجميع الذين يخدمونه».

† الكرامة والكبرياء كانتا فى البدء علة سقوط آدم بواسطة الحية ، ولا زالت إلى الآن تستعمل الحية وسيلتها وهى محتبئة فى القلوب ، لتطرح وتهلك جنس المسيحيين بعلة الكرامة واحترام النفس لذلك اتخذ السيد المسيح صورة عبد ، وغلب الشيطان بالتواضع ليعلمنا طريق النصر .

† ... الذين تقدموا قليلا فى معرفة الصلاة وقوتها إذا لم يتمسكوا بالاتضاع يتنفخون ويسقطون. فالحية عينها التى اسقطت آدم بعلة الكبرياء ، قائلة له انك ستصير كاملا كالله ، لا زالت توحى بالكبرياء فى قلوب بنى البشر وتهمس فى قلب الجاهل ، لقد صرت كاملا ، ها قد ملكت زمام المعرفة وصرت غنيا ، وليست لك حاجة لأحد . طوباك ، وهكذا .

† ... الانسان الذى يرغب أن يأتى إلى الرب ويوجد مستحقاً للحياة الأبدية عليه أن يداوم باستمرار فى الصلاة ويغصب ذاته على الاتضاع ، واضعاً فى نفسه أنه أقل واحقر الناس جميعاً ، وكل ما يتعب نفسه لاجله ويعمله وهو متألم بقلب نافر غير راض ، سوف يأتى عليه يوم يعمله برضى وقبول وبذلك يدرب الانسان نفسه على حياة الصلاح والاهتمام بالرب

وحينما يرى الرب نية الإنسان واجتهاده وكيف يغصب ذاته لعمل الخير والتواضع والوداعة والصدقة وكيف هو يبذل ما فى وسعه يتحنن الرب عليه ويظهر له رحمته ويخلصه من أعدائه ومن سلطان الخطية ويملأه من الروح القدس وحينئذ يتمم وصايا الرب دون تغصب واجهاد ، لأن الرب الساكن فيه هو يكون العامل فيه وبذلك يثمر ثمار الروح بطهارة .

(٨) عظم محبته لأولاده

† « ... كل اجتهاد وكل بلوغ لم يكمل ويكلل بعد برباط الحب يبقى معرضا للخوف والحرب والسقوط والزوال ، وإذا لم يأخذ صاحبه الحذر البالغ فإن الشيطان يباغته ويصرعه ... لكن إذا وصل أحد إلى الحب الكامل فهو يكون موثوق الرباط بالله وأسير النعمة » القديس مكاريوس

† « ان كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ... وان كانت لى نبوة واعلم جميع الأسرار وكل علم وان كان لى كل الإيمان حتى انقل الجبال وان أطعمت كل أموالى وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً » ١ كو ١٣: ١ - ٣

† « يجب على المسيحي أن يجتهد دائما في أن لا يصدر منه حكم على أحد لا على الوثاة ولا على الخطاة الظاهرين بأعمالهم بل يرى كل الناس بضمير صالح وعين بسيطة حتى يصير كناموس طبيعي في النفس أن لا نحتقر أو نزدري بأحد أو نميز بين واحد وآخر ـ هذه هي نقاوة القلب حينما نرى خطاة أو مرضى فيكون فينا شفقة عليهم ولنا معهم حنان ورأفة » .

قيل عن القديس مكاريوس [1] : أنه كان في بعض القلالي أخ صدر منه أمر شنيع وسمع به الآب مكاريوس ولم يرد أن يكتبه ... فلما علم الإخوة بذلك لم يستطيعوا صبراً ، فلم يزالوا يراقبون الأخ إلى أن دخلت المرأة إلى عنده ، فأوقفوا بعض الإخوة لمراقبته ، وجاءوا إلى القديس مكاريوس فلما أعلموه قال « يا اخوة لا تصدقوا هذا الأمر وحاشا لأخينا المبارك من ذلك » ، فقالوا : « يا أبانا . اسمع وتعال لتبصر بعينيك حتى يمكنك أن تصدق كلامنا » ، فقام القديس وجاء معهم إلى قلاية ذلك الأخ كما لو كان قادما ليسلم عليه وأمر الإخوة أن يبتعدوا

(١) من البستان .

عنه قليلا . فما أن علم الأخ بقدوم الآب حتى تحير في نفسه وأخذته الرعدة وأخذ المرأة ووضعها تحت ماجور كبير عنده ، فلما دخل الآب جلس على الماجور وأمر الإخوة بالدخول ، فلما دخلوا وفتشوا القلاية لم يجدوا أحداً ولم يمكنهم أن يوقفوا القديس من على الماجور . ثم تحدثوا مع الأخ وأمرهم بالانصراف فلما خرجوا أمسك القديس يد الأخ وقال : يا أخي ، على نفسك أحكم قبل أن يحكموا عليك ، لأن الحكم لله ، ثم ودعه وتركه ، وفيما هو خارج إذ بصوت أتاه قائلا : « طوباك يا مقاريوس الروحاني لأنك تشبهت بخالقك تستر العيوب مثله » ، ثم أن الأخ رجع إلى نفسه وصار راهبا حكيما مجاهداً وبطلا شجاعا .

وهكذا بعظم محبته كسب نفساً اشتراها المسيح بدمه .

† † †

نقف أمام هذه القصة المثيرة العجيبة نتأمل قليلا .

مما لاشك فيه أن سر قوة هذا القديس الذي نال مواهب عظيمة ، كان لكثرة رحمته ومحبته وصفحه عن أخطاء الجميع ولا سيما أولاده .

أننا نقف متعجبين في دهش من عظمة هذا الآب فلم يسمع

أنه استخدم سلاح الفرز . ألم يكن هذا الأخ مستوجباً العقاب والطرد ؟ لكن القديس كان غرضه ألا تهلك نفس واحدة ونلقى خارج الحظيرة متشبهاً بالسيد المسيح الذى سعى لخلاص المرأة السامرية والذى كان يخالط الخطاة والعشـــارين ويتحنن عليهم ولذلك استحق أن يسمع ذلك الصوت : « طوباك يا مقاريوس الروحانى تشبهت بخالقك تستر العيوب مثله » .

ولا نعجب إذا رأينا هذه الفضيلة تتمكن فى نفوس الكثيرين من تلاميذه وغيرهم أمثال القديسين ايسيذورس وموسى الأسود وبيمين وبيساريون الكبير وبيور ... وغـــيرهم الذين كانوا يتصرفون تصرفات المحبة الكاملة نحو اخوتهم أثناء انعقاد مجامع الرهبان للنظر فى المخالفـــات التى وقعت منهم أو بعد المجامع . ونذكر بعض القصص على سبيل المثال .

† اخطأ أخ فى الإسقيط يوما ما فانعقد بسببه مجلساً لإدانته وأرسلوا فى طلب أنبا موسى ليحضر فأبى وامتنع عن الحضور فأتاه قس المنطقة وقال « أن الآباء كلهم ينتظرونك فقام وأخذ كيسا مثقوبا وملأه رملا وحمله وراء ظهره وجاء إلى المجلس . فلما رآه الآباء هكذا قالوا له ، ما هذا أيها الآب ؟ فقال هذه خطاياى وراء ظهرى تجرى دون أن أبصرها ، وقد جئت اليوم

لإدانة غيرى على خطـــاياه ، فلما سمعوا ذلك غفروا للأخ ولم يحزنوه فى شىء .

* * *

† أخطأ أحد الإخوة فطرد فقام الآب بيساريون وخرج معه قائلا : « أنا أيضاً خاطىء » .

* * *

† حدث مرة أن هذا أخ بالإسقيط وانعقـــد مجلس بسببه فقام الآب بيور وأخذ خرجا وملأه رملا وحمله على ظهره ، كما أخذ كيساً صغيراً ووضع فيه قليلا من الرمل وجعله قدامه ، فسألوه ما هذا الخرج المملوء كثيراً ؟ فقال انه خطـــاياى قد طرحتها وراء ظهرى حتى لا أنظرها ولا أتعب لأجلها . أما هذا الرمل القليل الموجود قدامى فهو خطايا أخى وقد جعلتها قدامى لأدينه عليها ، فلما سمع الإخوة ذلك انتفعوا وغفروا للأخ .

* * *

† ذكر التاريخ عن القديس أنبا بيمين [1] أنه حدث مرة أن رئيس أحد أديرة بيلوز (بور سعيد) كان يعلم أن بعض

---

(١) مترجمة عن « شينو » Les Saints d' Egypte الجزء الثانى ص ٢٥٤

رهبانه يخرجون كثيراً إلى المدن ويفقدون روح رسالتهم فأراد أن يضرب ضربة قوية ، ففى الاجتماع نزع عنهم الملابس الدينية وطردهم إلى العالم ، ولكن سرعان ما ندم على هذا الصنيع القاسى ولكى يريح نفسه ذهب إلى شيهيت ليستشير الآب بيمين وأخذ معه ملابس الرهبان المطرودين ، ولما علم المتوحد بهذه القصة اكتفى بهذه الأسئلة : قال : « يا أخ هل خلعت الانسان العتيق هكذا حتى أنه لم يتبق لك شىء منه ، هل خلعته كلية ؟ ـ فرد عليه وقال ، للأسف ما زلت أتحمل كثيراً من عبوديته ، فأجابه : ومالك إذن تقسو هكذا بشدة على اخوتك وأنت لا تزال تحت الآلام ، أذهب ابحث عن ضحاياك واحضرهم إلى ، فلما ذهب اليهم حضر الاحد عشر راهباً إلى شيهيت واعتذروا وقبل اعتذارهم ولبسوا من جديد أسكيم الرهبنة وانصرفوا متجددين » .

† والقديس ايسيذورس تليذ القديس مكاريوس ، الذى كانت الشياطين تفزع منه ، قد أذهلهم بعظم رحمته ومحبته لإخوته فذكر عنه أنه إذا حدث وطرد أحد الإخوة كان للحال يقبله ببشاشة وفرح ويخلص نفسه ، كان يقابل الطرد بزيادة العناية والرعاية والمحبة الروحية الفائقة .

طوباك أيها القديس مكاريوس وطوبى لتلاميذك . قيل

عنك انك صرت كملاك أرضى وكما أن الله يستر زلات الناس كذلك كنت تستر النقائص التى تراها .

طوباك أيها البار ... طوباك يا مقاريوس
أنت لشيهيت فخر ... مع الآباء الرؤوس
طوباكم فى السموات ... يا أولاد مكاريوس
يا كواكب جبل شيهيت ... ومصابيح دير البرموس

(عن مدائح كيهك)

(٩) انتقاده وحسن رعايته للاخوة

« ... صليت إلى الله وصمت أسبوعا لكى يكشف الرب عملها ... » القديس مقاريوس

كان القديسان مكسيموس ودوماديوس يحضران إلى الكنيسة كل أحد لتناول القربان وهما صامتان ، وأراد القديس مكاريوس أن يفتقدهما ، ويقول فى ذلك : « صليت إلى الله وصمت أسبوعا لكى يكشف لى الرب عملها ، ثم قمت مباشرة وذهبت اليهما لارى حالهما ... » وقد رأى بعينيه كيف كانا يقضيان الليل فى الصلوات ساهرين فى العمل فى سكون وصبر .

« لا تدينوا لكى لا تدانوا » مت ٧ : ١ .

كان الأنبا مقاريوس يقول للاخوة : إذا سرحت الكنيسة فروا يا اخوة فروا ، فقال أحد الآباء أيها الآب إلى أين نفر أكثر من هذه البرية ؟ فضرب بيده على فمه وقال من هذا فروا.

(١١) محبته للوحدة

« ... مجد الوحدة غير محدود وفرحها هو الله ... غذاؤها الصبر وخدمتها الكاملة هى الطهارة ، وفرحها هو الاتضاع ، هى التى لا يفسدها سوس ولا يتدنس لها ثوب لأنها ساكنة فى الطهارة ...

« ... وإذ كان يتضايق لأن عدداً كبيراً من الناس كانوا يأتون لزيارته ، حفر سرداباً فى قلايته يمتد إلى بعد نصف ميل وعند نهايته حفر مغارة صغيرة وعندما كانت تأتى اليه جموع كثيرة كان يترك قلايته سراً ليختلى بالله » .

الوحدة هى حفظ العينين والأذن واللسان والاشتغال بالقراءة والصلاة ... الوحدة هى مرآة تبين للإنسان عيوبه ...

† ... ضع همك كله فى أن تطلب الله وأن تنجو من أيدى أعدائك فالآن يا رجل الله ان وضعت فى قلبك أن تقتنى الوحدة فهى ذاتك لها ، واصبر على المسكنة فإن الوحدة والمسكنة عظيمتان وليس شىء من المواهب يساويها فى القدر والكرامة لانها يقربان إلى الله ، كما لا تحصى المواهب الموجودة داخلها لانها يسودان جميع الفضائل وهما فى وسط جميع المواهب يتلألآن لانها مصدر أعمال القديسين ، وجميع القديسين وجدوا الله فيها وكشفت لهم الافكار فوهبهم الله قلوبا نقية وهم فى المسكنة والوحدة جياعا عطاشى . هؤلاء الذين لم يستحقهم العالم . تائهين فى البرارى والقفار والمغارات وشقوق الارض . هؤلاء الذين لهم هذه الشهادة الجليلة ، قد وجدوا الله فى الوحدة ...

(١٢) الصفح والمغفرة

† ... إن نحن ذكرنا السيئات التى تحل بنا من الناس فإننا نقطع قوة ذكر الله من قلوبنا وإن نحن ذكرنا شرور الشياطين نبقى غير مجروحين .

† ... نفس الانسان الكامل فى الفضائل تجدها نقية كالشمس من قبل أن تلحقه كلمة ردية ، فإذا سمع كلمة ردية أو نميمة الوقت تغطى الشياطين عقله وتحجب عنه النور وتصيره

شقياً وتكون نفسه متزعزعة وفضائله ناقصة .

(١٣) الافراز (التمييز فى الروحيات)

† سئل القديس مكاريوس الكبير ، ماذا يعمل الانسان المخدوع بأسباب واجبة وبإعلانات شيطانية شبه الحقيقة ؟

قال - يحتاج الإنسان لذلك الأمر إلى أفراز كثير ليميز بين الخير والشر ، ولا يسلم نفسه بسرعة ، فإن أعمال النعمة ظاهرة ، التى وان تشكلت بها الخطية فلا تقدر على ذلك ، لأن الشيطان يعرف كيف يتشكل بشكل ملاك نور ليخدع ولكنه حتى ولو تشكل بأشكال بهية ، فإنه لا يمكن أن يفعل أفعالا جيدة ولا أن يأتى بعمل صالح الا أن يسبب بذلك الكبرياء ، أما فعل النعمة فإنما هو فرح وسلام ووداعة وغرام بالخيرات السمائية ، ونياح روحانى لوجه الله ، وأما فعل المضاد بخلاف ذلك كله ، فهو لا يسبب تذللا ولا مسرة ولا ثباتاً ولا بغضة للعالم . لا يسكن الملاذ ولا يهدىء الآلام . فإذن من الفعل تعلم النور اللامع فى نفسك - هل هو من الله أو من الشيطان ، والنفس بها افراز من إحساس العقل به تعرف الفرق بين الصدق والكذب ، كما يميز المختبر الخمر من الخل ، وان كانا متشابهين فى اللون ، كذلك النفس من الإحساس العقلى تميز المنح الروحانية من التخيلات الشيطانية .

(١٤) التوبة

† كما أن الماء إذا سلط على النار يطفئها ويغسل كل ما أكلته كذلك أيضاً التوبة التى وهبها لنا الرب يسوع تغسل جميع الخطايا والاوجاع والشهوات التى للنفس والجسد معاً .

(١٥) الغضب

† ان كنت فى حال ردعك لغيرك تحرد وتغضب فأولى بك أن تشفى ألمك أولا لانه لا يليق أن تهتك نفسك لتخلص غيرك[١] .

* * *

(١) هذه الأقوال ليست إلا نقطة من بحر عاده الزاخر أتينا بها فى هذا الكتاب الصغير .

الفصل الثالث

عظات القديس

١ – عظة على خلاص الإنسان

من عثرات إبليس بمعونة السيد المسيح [1]

إن الذين كتبت فيهم الشريعة الإلهية لا بحبر وحروف بل هي منقوشة في قلوب لحمية حسب ما قاله بولس الرسول ٢ كو ٣ : ٣ ، ظاهرين أنكم رسالة المسيح مخدومة منا مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي ، لا في ألواح حجرية بل في ألواح لحمية فلأجل أن عيون قلوبهم مستنيرة وهم دائماً مشتهون الرجاء غير المنظور، يقدرون أن يخلصوا من عثرات الخبيث، مز ٩١ : ٣. « لأنه ينجيك من فخ الصياد ومن الوباء الخطر» لكن ليس من تلقاء أنفسهم بل من قوة لا تغلب كقول يوحنا الحبيب : أنتم من الله أيها الاولاد وقد غلبتم لان الذي فيكم أعظم من الذي

(١) عن كتاب مقالات القديس مكاريوس الكبير طبعة سنة ١٩٠١ العظة الخامسة والعشرون نشرها على سبيل المثال لما كان عليه القديس من الطهارة ووفرة العلم .

في العالم ، ١ يو ٤ : ٤ ، وأما الذين هم غير سالكين حسب كلمة الله ، هؤلاء الذين قال عنهم سفر الرؤيا « كن ساهراً وشدد مابقي الذي هو عتيد أن يموت لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله » رؤيا ٣ : ٢ – هؤلاء من تشامخهم الباطل يزعمون أنهم بمطلق إرادتهم يقدرون أن يقطعوا أسباب الخطية التي تجيها سر الصليب وحده ، لأن حرية الإرادة التي في قدرة الإنسان محصورة في مقاومة الشيطان لا في قدرة الاستيلاء على أهوائه مطلقاً لأن داود النبي قال « ان لم يبن الرب البيت فباطلا يتعب البناؤون . ان لم يحفظ الرب المدينة فباطلا يسهر الحراس » مز ١٢٧ : ١ لأنه لا يمكن لأحد أن يمشي على الحية والافعى ويدوس الأسد والتنين إلا أن طهر نفسه أولا وعلى قدر إمكانه ، كقول القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس « فإن طهر أحد نفسه من هذه يكون اناء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح » ٢ تي ٢ : ٢١ ، ثم نال القوة من لدن ذلك الذي قال : « ها أنا أعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء » لو ١٠ : ١٩ ، لأنه لو كانت الطبيعة البشرية قادرة أن تقاوم الشيطان بدون سلاح الروح القدس ما كان بولس الرسول قال لنا « أمين هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم

من الشرير» ٢ تسالونيكى ٣:٣ ، ولأجل هذا أمرنا السيد المسيح أن نطلب قائلين : « لا تدخلنا التجارب لكن نجنا من الشرير» مت ٦ : ٣ ، لأنه ان لم يكن لنا عون آخر عال به نخلص من سهام الشرير المتقدة ونحسب أهلا للبنوة فكل سيرتنا لا تجدى نفعاً لابتعادنا عن قدرة الله ومعونته لنا .

كيف نكون شركاء فى المجد الإلهى :

من أراد إذن أن يصير شريكا فى المجد الإلهى يجب أن يطلب العون من الله بقوة إلحاح ويحب لا يخمد وبرغبة لا تلتهى من كل قلبه وبكل طاقته ليلا ونهاراً ، ولا يمكنه نوال ذلك إلا أن حرم نفسه من ملذات العالم الباطلة وشهوات القوة المعادية كقول بطرس الرسول : « أيها الأحباء أطلب اليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس » ١بط ٢ : ١١ وكقول القديس يوحنا « أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ، ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق . متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لأنه كذاب وأبو الكذاب » يو ٨ : ٤٤ ...

فمن ثم ان شئت أن تعرف لماذا نحن الذين خلقنا للكرامة

ووضعنا فى الفردوس وشبهنا بعدئذ بالبهائم التى لا فهم لها كقول داود النبى : « إنسان فى كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التى تباد » مز ٤٩ : ٢٠ ، إذ سقطنا من المجد الذى لا عيب فيه فاعلم أننا من حيث أننا تعبدنا للأهواء الجسدية بالمعصية قد أقمنا خارجا عن المكان المكرم ولسبب كوننا فى العبـــودية فإلى الآن لا نزال جالسين على أنهار بابل » مز ١٣٧ : ١ ، ولم نزل محبوسين بمصر أى أننا لم نرث أرض الميعاد التى تفيض لبناً وعسلا ، وإلى الآن لم نختلط بخمير الطهارة بل أقمنا على الخبيث القديم ، وحتى الآن لم نأت إلى «وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل » عب ١٢ : ٢٤ وكقول بطرس الرسول : « ... فى تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح ... » ١بط ١ : ٢.

فإنه لم يبرح فخ جهنم قائما وسنارة الخطيئة منصوبة وحتى الآن أيضاً لم نقبل بهجة خلاص المسيح كقول المرنم : « امنحنى بهجة خلاصك » مزمور ٥١ ، لأن شوكة الموت لم تبرح نافذة فينا هذه التى قال عنها بولس الرسول : « أما شوكة الموت فهى الخطية وقوة الخطية هى الناموس ، ولكن شكرا لله الذى يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح ١ كو ١٥ : ٥٦، ٥٧ ، وحتى الآن أيضا لم نلبس صورة الإنسان السماوى ١ كو ١٥ : ٤٩ ، وحتى

الآن لم نلبس الإنسان الجديد، أفس ٤ : ٢٤ ، المخلوق حسب الله بالبر لكوننا لم ننزع عنا الانسان العتيق الذى يفسد بشهوات الضلالة ، وحتى الآن لم نسجد لله بالروح والحق لكون الخطية متملكة فى أجسادنا المائتة حسب ما علمنا به بولس الرسول إذ قال : « إذا لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواته » رو ٦ : ١٢ ، وحتى الآن لم نعاين مجد الله الذى لا يفسد لأننا لم نزل تحت سطوة الليل الحالك : كقول أشعياء النبى : « من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل ، ننتظر نوراً فإذا ظلام ، ضياء فنسير فى ظلام دامس ، نتلمس الحائط كالعميان كالذى بلا عين نتجسس ، قد عثرنا فى الظهر كما فى الظلام فى الضباب كموتى » أش ٥٩ : ٩ ، ١٠ ... وحتى الآن لم نلق عنا سلاح الظلمة وسهامها وأفعالها ، وحتى الآن لم نتغير بتجديد عقولنا لأننا لم نزل مطابقين لهذا العالم بأباطيل عقولنا ولم نصغ لقول الرسول بولس : « ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة » رو ١٢ : ٢ ، وحتى الآن لم نحمل سمات الرب يسوع فى أجسادنا غل ٦ : ١٧ .

لم نزل عائشين فى الشهوات واللذات الجسدية وإلى الآن

فينا روح العبودية لا روح البنوة ، وحتى الآن لم نصر هيكلا لله ولا مسكناً للروح القدس لأننا لم نزل هيكلا للأصنام ومأوى للأرواح الشريرة كقول حزقيا النبى : « يا ابن آدم هؤلاء الرجال قد أصعدوا أصنامهم إلى قلوبهم ووضعوا معثرة إثمهم تلقاء وجوههم فهل اسأل منهم سؤالا » حز ١٤ : ٣ ، وكقول يوحنا الرائى : « ثم بعد هذا رأيت ملاكا آخر نازلا من السماء ... وصرخ بشدة بصوت عظيم قائلا سقطت بابل العظيمة وصارت مسكناً لشياطين ومحرساً لكل روح نجس ومحرساً لكل طائر نجس وممقوت » رؤ ١٨ : ١ ، ٢ ... ذلك بسبب شدة ميلنا إلى الأهواء الفاسدة لأننا بقينا إلى الآن لم نحصل على نقاء السيرة وطهارة السريرة ولم نحسب أهلا للبن الخالص العقلى العديم الغش.

إلى الآن لم يطلع النهار ، لم تطلع نجمة الصبح فى قلوبنا ، وحتى الآن لم نمتزج بشمس البر ولم نلبع بحسب شعاعه لنكون كما قال السيد « فليضىء نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » مت ٥ : ٦ .

لم نصر شركاء الطبيعة الإلهية هاربين من الفساد الذى فى العالم ٢ بط ١ : ٤ ، لم نصر ذلك الأرجوان الحر الملكى ،

ولا صرنا صورة الله الشريفة ، وحتى الآن ما جرحنا بالحب الإلهى ، احلفكن يا بنات أورشليم ان وجدتن حبيبى أن تخبرن بأنى مريضة حبا ، نشيد ٥ : ٨ .

إلى الآن لم تنشغل قلوبنا بمحبة العريس الروحانية وحتى الآن لم نعرف الشركة التى تفوق كل وصف كقول يوحنا : « الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا » ١يو ١ : ٣ .

وليست لنا القوة والسلامة التى لا تنفصل عن القداسة . وبالاختصار لسنا حتى الآن جيلا مختاراً وكهنوتاً ملوكياً وأمة مقدسة وشعباً مبروراً ١ بط ٢ : ٩ ، إذ اننا لم نزل إلى الآن حيات وذرية الأفعى مت ٣ : ٧ ، وكيف لا نكون حيات والحال اننا لم نوجد فى طاعة الله بل فى المعصية التى ادخلتها تلك الحية تك ٣ : ١٣ ، « فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته » رؤيا ١٢ : ٩ .

فعلى هذا الحال لست أعرف كيف أنوح على شقاوتنا النوح الواجب ولا علم لى بأى صراخ وبأية دموع أخاطب ذلك الذى

هو قادر أن ينزع الضلال الذى فى ، فكيف أرتل نشيد الرب فى أرض غريبة مز١٣٧ : ٤ ، وكيف أنوح على أورشليم ، وكيف أنجو من عبودية فرعون القاسية ، وكيف أعمل حتى أخرج مما أنا فيه من تقلى فى سيرة الأردياء ٢ بط ٢ : ٧و٨ ، وبأى طريق أخرج من أرض مصر ، وكيف أسير فى وسط البرية الكبرى ، وكيف أنجو من الهلاك إذا لدغتنى الحيات ، وكيف أغلب الغرباء وكيف أبيد الأمم التى فى باطنى ...

كيف أعاين عمود النور الحقيقى والسحاب الناشىء من الروح القدس وكيف أتنعم « بمن » اللذات الأبدية حسب ما ورد فى سفر الرؤيا ٢ : ١٧ . من له أذن فليسمع مايقوله الروح للكنائس « من يغلب فسأعطيه أن يأكل من المن المخفى وأعطيه حصاة بيضاء وعلى الحصاة اسم جديد ... » .

كيف أشرب ماء من الصخرة الروحية ١ كو ١٠ : ٤ [1] . ويوحنا ٧ : ٣٧ - ٣٩ [2] ، كيف أعبر الأردن وأدخل أرض

(١) « وجميعهم شربوا شرابا واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح » ١ كو١٠ : ٤ .

(٢) وفى اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلا : ان عطش أحد فليقبل إلى ويشرب . من آمن بى كما قال الكتاب تجرى =

الميعاد ، وكيف أعاين رئيس جند الرب الذى حين رآه يشوع خر له ساجداً ، لانى لم استأصل الأمم التى فى يمر فهذه جميعها فلا يمكننى أبداً أن أدخل أو أقيم فى مقادس الله ولا أن أصير شريكا فى ملكوت المجد .

الذين يزرعون بالدموع بالفرح يحصدون

لذلك اسع بكل جهدك لتصير ابنا لله بلا عيب ، وتدخل إلى تلك الراحة الابدية واجتهد بكل طاقتك فى أن يكتب اسمك فى الكنيسة التى فى السماء مع الابكار كقول السيد المسيح « ولكن لا تفرحوا بهذا ان الارواح تخضع لكم بل افرحوا بالحرى ان اسماءكم كتبت فى السموات » لو ١٠ : ٢٠ ، وما قاله بولس الرسول : « بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية ، وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السموات ... » عب ١٢ : ٢٢ ، ٢٣ ، وتكون مع السيد كل حين ،فى يوم الدين كما يقول الرائى « من يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى ... » رؤ ٣ : ٢١ ، وقول السيد :

= من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مجد بعد يو ٧ : ٣٧ ـ ٣٩ .

« ... وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى » متى ٢٠ : ٢٣ .

تدخل إلى المدينة المقدسة وترث كل شىء كقول الرائى : « من يغلب يرث كل شىء وأكون له إلها وهو يكون لى ابناً » رؤ ٢١ : ٧ ، وكقوله : « من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله » رؤ ٢ : ٧ .

ان هذه الاحوال السعيدة الغريبة لا تحسب أهلا لها إلا إذا سكبت الدموع ليلا ونهاراً على حسب ما ورد فى سفر المزامير « احم كل ليلة سريرى وبدموعى ابل فراشى » مز ٦ : ٦ .

وأعلم أن الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالافراح مز ١٢٦ : ٥ ، ولذلك قال النبى « لا تغفل عن دموعى » مز ٣٩ : ١٢ (١) . ويقول أجعلها أمامك مز٥٦ : ٨ « ... اجعل أنت دموعى فى زقك ... » ، وقال : « صارت لى دموعى خبزاً نهاراً وليلا » مز ٤٢ : ٣ » ، وفى مكان آخر : « انى قد أكلت الرماد مثل الخبز ومزجت شرابى بدموع » مز ١٠٢ .

(١) « استمع صلاتى يارب واصغ إلى صراخى لا تسكت عن دموعى لأنى أنا غريب عندك ، نزيل مثل جميع آبائى » مز ٣٩ : ١٢ .

ان الدموع إنما تسكب من شدة الحزن وضيقة القلب كما يقول بولس الرسول : « لأني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت اليكم بدموع كثيرة لا لكي تحزنوا بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولاسيما من نحوكم » ٢ كو ٢ : ٤ .

الدموع يصحبها احتراق الاحشاء كقول بولس الرسول « من يضعف وأنا لا اضعف ، من يعثر وأنا التهب » ٢ كو ١١ : ٢٩ .

الدموع هي قوت النفس المصنوع من الخبز السماوي الذي اكلت منه مريم لما جلست عند قدمي السيد المسيح وبكت بحسب ما شهد به ربنا نفسه لأنه قال ان مريم اختارت النصيب الصالح الذي لا ينزع منها أبداً .

يا لهذه الدرر الثمينة التي تقاطر مع انسكاب الدموع السعيدة ، ويا لحرارة روح المحبة المتحركة إلى جهة العريس الطاهر ويا للاشتياق الذي في النفس إلى الله الكلمة ...

تنبهي يا نفسي إلى ما قاله السيد المسيح « جئت لألقي ناراً على الأرض ، فاذا أريد لو اضطرمت » لو ١٢ : ٤٩ ، ان انقاد الروح هذا هو الذي يضرم حياة جديدة في القلب ، ولهذا السبب

كانت فائدة هذه النار الإلهية أن تنير النفوس وتمتحنها امتحان الذهب النقي في الاتون وتحرق الخطية كالشوك والقش لأن إلهنا نار آكلة [1] وهذه النار عينها فعلت في الرسل عند تكلمهم بألسنة نارية اع ٢ : ٣ ، وهذه النار عينها لما نشرت شعاعها حول القديس بولس أنارت عقله وأظلمت بصره الخارجي اع ٩ : ٣ - ٩ ، وهذه النار عينها رآها موسى في العليقة خروج ٣ : ٢ و اع ٧ : ٣٠ ، وهذه النار عينها اختطفت إيليا من الأرض بصورة عربة ، ٢ مل ٢ : ١١ [2] .

وفي طلب فاعلية هذه النار قال داود الملك ابلني يا رب وجربني واحم كليتي وقلبي مز ٢٦ : ٢ ، وهذه النار عينها أحرقت قلب كليوباس وأصحابه لما كان مخلصنا يكلمهم عن القيامة لوقا ٢٤ : ٣٢ ، ومن ثم تنال الملائكة والأرواح الخادمة من ضياء هذه النار بحسب ما قيل في الكتاب « الصانع ملائكته أرواحا وخدامه لهيب نار تلتهب » مز ١٠٤ : ٤ ...

وتلك النار عينها هي التي تهزم الشياطين وتنزع الخطية وهي

---

(١) تث ٤ : ٢٤ ، عب ١٢ : ٢٩ .

(٢) وفيها ما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار فصلت بينهما فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء ٢ مل ٢ : ١١ .

القوة العظمى لإقامة الموتى إلى الحيـــاة وهى قوة الأبد ونور الانفس المقدسة ...

... لنطلب أن تأتى الينا هذه النار حتى إذا سعينا كل حين فى النور لا تعثر أرجلنا بحجر أبداً ١ يو ١ : ٧ ومز ٩١ : ١١. ونكون كأنوار مضيئة فى العالم حتى إذا ما تمتعنا بخيرات الله مز ٨٤ : ١١ نقيم مع الرب فى الحياة الأبدية آمين .

† † †

٢ـ عظة قبل نياحته

يا أولادى الأحبـــاء . عظيم هو مجد القديسين فينبغى أن نفحص عن تدبيرهم الذى نالوا بواسطته هذا المجد وبأى عمل وفى أى طريق وصلوا اليه . وقد علمنا أنهم لم يشتروه بغنى هذا العالم ولا حصلوا عليه بصناعة ما أو بتجـارة ما . ولا اقتنوه بشىء مما يملكون . إذ أنهم تمسكنوا وتغربوا عن هذا العالم . جالوا جياعا فقراء . فعلى ما أراه أجد أنهم نالوا ذلك المجد العظيم بتسليمهم ذواتهم وتدبير أمورهم ونياتهم لله. فأخذوا إكليل المجد السمائى. فما الذى كان لهم وليس هو لنا سوى أنهم تركوا اهواءهم كلها من أجل الرب وتبعوه حاملين الصليب . ولم يفصلهم حب شىء آخـر عن محبته تعالى . لأنهم لم يحبوه أكثر من الأولاد فقط مثل ابراهيم . بل وأكثر من ذواتهم أيضاً كما يقول بولس الرسول لا شىء يستطيع أن يفصله عن حب الله . فالآن يا بنى الأحباء جاهدوا واصبروا إلى الموت كالقديسين لتصيروا مسكنا لله ان احببتم بعضكم بعضا فإن الله يسكن فيكم وان كان فى قلوبكم شر

فلن يسكن الله فيكم . احذروا الوقيعة لئلا تصيروا كالحية أوان للشيطان . احفظوا اسماعكم من كلام النميمة لتكون قلوبكم نقية. واهربوا من كل ما ينجس القلب . اكرموا بعضكم بعضاً لتكون السلامة والمحبة بينكم . ان غضب أحد على أخيه وأخونه فلا يستريح له بال قبل أن يصلحه بحلاوة المحبة . فقد كتب: لا تغيب الشمس على غيظكم . قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة السلامة. وذلك ليخزى عدو السلام ويفرح إله السلامة وتكونون له بنين لأنه قال: ان فاعلى السلامة يدعون أبناء الله .صلوا بالروح دائماً كما أمر الرسول اتضعوا لإخوتكم واخدموهم حسب قوتكم لأجل المسيح لتنالوا منه الجزاء فقد قال له المجد : ما تصنعونه بهم فبي تصنعونه . ان كل أعمالنا نجدها ساعة مفارقة أنفسنا لأجسادنا . فقد كتب : أن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وودكم الذى أظهرتموه باسمه إذ خدمتم الاطهار وتخدمونهم أيضاً . ليكن تعب أجسادكم هواكم ومشتهاكم ومحبوبا لديكم . ولا تستسلموا للانحلال والكسل فتندموا يوم القيامة . بينما يلبس أكاليل المجد أولئك الذين قد أتعبوا أجسادهم وتوجدون أنتم عراة أمام منبر المسيح بمحضر الملائكة والناس جميعاً. لاتنعموا أجسادكم فى هذا الزمان اليسير بالطعام والشراب والنوم

لئلا تعدموا الخيرات الدائمة التى لا توصف . فمن ذا الذى تكلل قط بدون جهاد ؟ ومن استغنى بدون عمل ، ومن ربح ولم يتعب أولا ؟ أى بطال جمع مالا ؟ أو أى عاطل لا تنفد ثروته ؟ إنه بأحزان كثيرة ندخل ملكوت السموات. فليحرص كل منكم على قبول الاتعاب بفرح عالما أن من وراثها كل غنى وكل راحة . أما الذى لا يستطيع أن يحتمل الاتعاب لضعف أو أمراض فليمجد الذين يتعبون ويغبطهم كما يفرح معهم فى خيراتهم - لا تقبلوا فى فكركم ولا تصغوا فى كلامكم أى إنسان بأنه شرير . لان بطرس الرسول يقول: أن الله أرانى وأوصانى بأن لا أقول عن إنسان أنه نجس أو رجس . فالقلب النقى ينظر كل الناس أنقياء ، فقد كتب أن كل شىء طاهر للأطهار والقلب النجس ينجس كل أحد . لان كل شىء للأعمى ظلام . هوذا الرب قد حلنا من عبودية الشيطان فلا نعود نربط أنفسنا أو نستعبدها بسوء رأينا .

احفظوا ما كلمتكم به ليكون لانفسكم منه دواء وصحة ولا تجعلوه شاهداً عليكم لانه سيأتى وقت فيه تطالبون بالجواب عن كلامى هذا . تمسكوا بالتوبة واحذروا لئلا تصطادوا بفخ الغفلة . لا تتهاونوا لئلا تكون الطلبة من أجلكم باطلة . داوموا

على التوبة ما دام يوجد وقت . فانكم لا تعرفون وقت خروجكم من هذا العالم . لنعمل ما دام لنا زمان ، لنجد عزاء فى وقت الشدة فمن لم يعمل ويتعب فى حقله فى أوان الشتاء لن يجد فى الصيف غلة يملأ بها مخازنه ليقتات بها ... فليحرص كل واحد على قدر طاقته فإن لم يمكنه أن يربح خمس وزنات فليجاهد كى يربح اثنتين ، أما العبد الكسلان الذى لا يعمل ولا يربح فصيره العذاب . طوبى لمن يجاهد بكل قوته فإن ساعة واحدة من نباحه تنسيه جميع أتعابه . وويل لمن تغافل وتكاسل لأنه سيندم حيث لا ينفع الندم . لا تكلوا شهوة الجسد لئلا تحرموا من خيرات الروح فإن الرسول قد كتب: ان اهتمام الجسد هو موت واهتمام الروح هو حياة . أفرحوا بكمال أخوتكم وضعوا نفوسكم لهم وتشبهوا بهم واحزنوا على نقصهم . اصبروا للتجارب التى تأتى عليكم من العدو واثبتوا فى قتاله ومقاومته فإن الله يعينكم ويهبكم أكاليل النصرة . فقد كتب : طوبى للرجل الذى يصير للبلايا ويصبح مجربا فإنه ينال إكليل الحياة . لا غلبة بدون قتال ولا إكليل بدون غلبة. اصبروا إذن فقد سمعتم قول الرب لاحبائه أما أنتم الذين صبرتم معى فى تجاربى ، ها أنا أعد لكم الملكوت كما وعدنى أبى . وقوله أيضاً . ان الذى يصبر إلى المنتهى فهذا

يخلص . وقد قدم لنا نفسه مثالا كيف نصبر إلى المنتهى . ففى الوقت الذى كان فيه يسب ويعير ويهان من اليهود نراه يترأف عليهم ويحسن اليهم فكان يشفى أمراضهم ويعلمهم . وهكذا قبل الآلام بجسده وصبر حتى الصلب والموت . ثم قام بالمجد وصعد إلى السماء وجلس عن يمين الله . اشكروا الرب فى تعبكم من أجل الرجاء الموضوع أمامكم. اصبروا فى البلايا لتنالوا اكاليل المجاهدين اغفروا لبعضكم بعضاً لتنالوا الغفران . فقد قال الرب : اغفروا يغفر لكم ... داوموا على حفظ هذه الوصية فإن ربحها عظيم ولا تعب فيها . كونوا أبناء السلام ليحل سلام الرب عليكم . كونوا أبناء المحبة لترضوا محب البشر . كونوا بنى الطاعة لتنجوا من المحال ... ان أول العصيان كان من آدم أبينا فى الفردوس بسبب شهوة الطعام . وأول الجهاد من سيدنا المسيح كان فى البرية فى الصيام . وتعلمنا من التجربة أن الراحة والطعام هما أسباب الطغيان. والصوم هو سبب الغلبة والنصرة . فصوموا مع المخلص لتتمجدوا معه وتغلبوا الشيطان . والصيام بدون صلاة واتضاع يشبه نسر مكسور الجناحين . احتفظوا بحرصكم ولا تهربوا من أتعابكم. فإن الطوبى لمن لازم التوبة حتى يمضى إلى الرب . لازموا السهر وقراءة الكتب وثابروا على الصلاة واسرعوا إلى الكنيسة

ونقوا قلوبكم من كل دنس لتستحقوا التناول من جسد السيد المسيح ودمه الأقدسين فيثبت الرب فيكم . فبهذا السر العظيم تحفظون من الأعداء . فمن يتهاون بهذا السر فإن قوات الظلمة تقوى عليه فيبتعد من الحياة بهواه ، فلتتقدم إلى سر الإفخارستيا بخوف وشوق وإيمان تام ليبعد عنا خوف الأعداء بقوة ربنا يسوع المسيح الذى له المجد إلى الأبد آمين .

† † †

الفصل الرابع

دير القديس مكاريوس الكبير

على ممر الزمن

لما كثر عدد الرهبان فى أيام القديس مكاريوس الكبير بنى لهم كنيسة هى موضع دير برموس ، ولما رأى أنها ضاقت بالمصلين بالنسبة لكثرة الجموع بنى كنيسة غيرها هى موضع دير الأنبا مكاريوس الآن ، وقد عاين القديس مكاريوس فى أواخر حياته (تنيح حوالى سنة ٣٩٠ م) دير القديس يوحنا القصير ودير القديس بيشوى ، وهما تلميذا القديس الأنبا بمواالكبير تلميذ القديس مكاريوس الكبير .

كانت برية شيهيت فى أيام القديس مكاريوس الكبير يخيم عليها السكون يزينها الهدوء والسلام وترتفع فيها أصوات التسابيح والصلوات فلم يكن البربر قد بدأوا يشنون الغارات عليها . لم يكن الدير فى ذلك العهد كالأبنية الموجودة حالياً بل كان الرهبان يقيمون فى مغارات منحوتة فى الجبـــال أو بيوتا مصنوعة من فروع الشجر أو من جريد النخل ، وكان يطلق على كل مجموعة

رهبانية تتكتل فيها الرهبان كبيرة كانت أو صغيرة اسم « دير ».

والقديس مكاريوس الكبير هو أول من كون الجماعات الرهبانية فى الإسقيط ، وشاهد قبل نياحته كما ذكرنا جماعة القديس يوحنا القصير ، وهذا القديس لما لمع نجمه فى سماء الرهبنة وذاع صيته التف حوله عدد كبير من الرهبان وكثرت القلالى وبنى لهم كنيسة ، وجماعة القديس الأنبا بيشوى الذين تجمعوا وسكنوا إلى جواره وبنى لهم كنيسة الدير وهى الرابعة فى عداد كنائس شيهيت .

الدير فى القرون الرابع والخامس والسادس

يشهد التاريخ عن تزايد عدد الرهبان فى أيام القديس مكاريوس بلغ عددهم حوالى ٢٥٠٠ راهباً ، وابيسيذورس القس كان رئيساً على ألف راهب لم يخرج أحد منهم من الدير .

وظلت الحالة هادئة حتى بعد نياحة القديس مكاريوس الكبير بحوالى ثمانية عشر عاما حيث بدأ أول هجوم للبربر حوالى سنة ٤٠٨ م[1] وفى هذه الغارة استشهد القديس موسى الأسود

(١) ترك الأنبا بيشوى بريه شيهيت عند حدوث الغارة الأولى إلى جبل أصفا فى صعيد مصر ونيح فى هذا الجبل ـ ولما هدأت الأحوال فى البرية نقل جسده وجسد الأنبا بولا الطموهى إلى دير الأنبا بيشوى . =

وأعقب هذه الغارة التى حدثت سنة ٤١٠ م وتلك التى حدثت سنة ٤٤٤م واستشهد فيها التسعة وأربعون شهيداً شيوخ شيهيت.

وفى حياة القديس مكاريوس الكبير ظهرت الراهبة أبوليناريا ابنة الامبراطور انتميوس الكبير التى رغبت فى حياة النسك ومضت إلى الإسقيط وتسمت باسم دورثيوس ، وظلت هذه الراهبة تحيا حياة النسك وتعيش كغيرها من الرهبان ولم يكتشف أمرها إلا عند تجهيزها للدفن .

أخذت جبال الأمن تتصرم بسبب ظهور قبائل البربر فى القرن الخامس ، وشرع رهبان كل مجموعة فى تشييد برج لهم ليحتموا فيه إذا أغار هؤلاء البربر عليهم ، وهذه الأبراج تلتها الأبنية التى انتهت فى أطوارها إلى الأديرة الحالية بأسوارها المنيعة المرتفعة .

وكان لدير القديس مكاريوس مركزه المرموق ، فيذكر التاريخ عن البطريرك القديس الأنبا كيرلس الكبير عامود الدين

= أما القديس يوحنا القصير فقد غادر صحراء شيهيت بسبب البربر إلى جبل القلزم حيث تنيح هناك ـ ونقل جسده إلى ديره فى الصحراء بتاريخ ٢٣ / ٨ / ٨٠٩ م .

(تفيح سنة ٤٤٤ م) انه بعد أن أتم دراساته اللاهوتية بالاسكندرية وتعمق فى دراسة العلوم الفلسفية التى تلزم لكل من يقوم مدافعا عن الدين المسيحى ضد الهراطقة والمبتدعين، انطلق إلى برية القديس مكاريوس حيث تتلذذ لسرابيون الحكيم الذى أوصاه البابا ثيوفيلس البطريرك بأن يهذبه بعلوم الكنيسة فأقام هناك خمس سنوات يقرأ الكتب المقدسة ولم يكن ينقطع عن المذاكرة فى أغلب الليالى ... وليث مواظبا على ذلك حتى برع فى الأسفار المقدسة ومن ثم استدعاه خاله إلى الاسكندرية ثم رسمه شماساً ... (١)

وبعد استشهاد التسعة وأربعين شيخاً سنة ٤٤٤ م انطلقت القديسة ايلاريا ابنة الامبراطور زينون إلى دير القديس مكاريوس حيث تزيت بزى الرجال، وكان ذلك فى أيام القديس الأنبا بمو (٢) وكانوا يدعونها ايلارى الراهب .

(١) نستطيع أن نتبين بجلاء عظم شأن هذا الدير فى هذا القرن الذى كان مركزاً للدراسات العالية فى اللاهوت والروحيات كما نستطيع أن ندرك عظم خطورة القياسية التى لم يكن أحد يلمها إلا بعد علم كثير واختبارات دقيقة.

(٢) هذا الأب كان فى القرن الخامس وورد فى سيرة الأنبا كاراس أنه كفن ايلاريه ابنة الملك زينون. وورد فى السيرة خبر نياحة الأنبا شنوده وتؤيس للتوحدين قبل نياحة الأنبا كاراس بيوم . والأنبا شنوده تنيح حوالى سنة ٤٥١ م .

ورغم عوامل التخريب التى تأثرت بها الأديرة فى القرن الخامس ورغم الغارة العنيفة التى حدثت سنة ٤٤٤ م فإن الآباء القديسين كانوا يعودون إلى الدير بعد زوال التخريب والنهب ويجددونه ،وكان منهم من يهرب إلى الريف ومنهم من كان يحتمى بالابراج ومنهم من كان يهرب إلى أماكن بعيدة .

وأن نشاط التعمير لم يكن ليكف بسبب الغارات إذ بعد هدوء الحالة يعود الرهبان ويعود الإصلاح .

والعجيب أن قسوة هذه الغارات المخيفة كانت تأتى بنتيجة عكسية يتزايد بعدها عدد الرهبان إذ كانت تزداد غيرتهم وتلتهب قلوبهم حماسا وقوة ومحبة فى الملك المسيح،وهذا يدحض الافتراءات بأن الرهبان إنما كانوا يهربون إلى الصحراء خوفا من الضيقات والاضطهادات لأنه إذا كان الأمر كذلك ما كان أحراهم أن يتجنبوا العودة إلى الأديرة مرة أخرى - وفضلا عن ذلك فإنه معروف أن الرهبنة لم تظهر وتزهر إلا فى عهد الحرية المسيحية بعد زوال اضطهادات دقلديانوس الكافر وليس فى عهده.

وفى القرن السادس يذكر التاريخ أنه فى أيام رياسة البابا دميانوس البطريرك ٣٥ (٥٦٩ - ٦٠٥ م) ابتدأت حركة تجديد

الاديرة الاربعة [1]، تلك الاديرة التى كانت تنمو فى جو يسوده الامن والسكون نمو النبات فى الحقل ، لكن هذا الامن لم يطل إذ سمع صوت من السماء تجاوبت أصداؤه فى الصحراء يقول « الفرار ... الفرار » فعمل سكان هذه الاديرة الاربعة بهذا التنبيه ولاذوا بالفرار ، وعلى أثر ذلك انقض البربر على المنطقة كلها وأحلوا بها الخراب وكان له تأثير شديد الوقع فى النفوس وقد أحزن هذا الامر البطريرك كثيراً وكدره كدراً عظيماً [2].

ورغم الشدائد والضيقات التى انتابت الاديرة كانت العبادة حارة والقلوب ممتلئة بمحبة السيد المسيح . ولقد كان دير القديس

(١) تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع ص ٢٠٩ ترجمة Evetts

(٢) حدثت الغارة الرابعة فى القرن السادس حوالى سنة ٥٧٧ م ، أهمل البربر فى البرية التخريب وألقوا أيديهم على الشيوخ وأسروا كل من فيها ولحقت بهم شدائد وضيقات كثيرة ، ويذكر التاريخ أن القديس الانبا دانيال قس شيهيت هرب بعد هذه الغارة الى دير « تبوك » فى الوجه البحرى وهناك تنيح بسلام .

ونستطيع أن نتبين من ذلك أن أسوار الاديرة العالية المتينة لم تمكن بليت بعد والا كان الرهبان يختبئون فى الاديرة وواضح أيضا أن الاديرة بمساحتها الحالية لم تمكن بطبيعة الامر تتسع لعدد الرهبان الضخم الذى كان فى القديم .

مكاريوس يطل شامخا وكان من أهم أديرة البرية ولم تقتصر الرعاية على الرهبان فحسب بل تعدتها إلى رعاية النساء فى الصحراء ...

غير أنه بسبب الشدائد والغارات العنيفة واضطهادات الخلقيدونيين التى استمرت زمانا طويلا فإن عدداً كبيراً من الرهبان تشتت فى أماكن متفرقة وأخذ عدد رهبان الإسقيط يتضاءل وكذا رهبان دير القديس مكاريوس الكبير ، ويبدو أن حركة بناء الاديرة فى المنطقة غربى الاسكندرية أثر على منطقة الإسقيط فيذكر التاريخ أنه كان يوجد غرب الاسكندرية حوالى ستمائة دير [1] وكثرت « الاديرة الميلية » غربى الاسكندرية ، ففى القرن السادس ويحتمل أن يكون فى القرن الذى قبله انتشر كثير من هذه الاديرة وكان الطريق القاسم غربى الاسكندرية

(١) فى سيرة الانبا بطرس البطريرك ٣٤ (٥٦٧ ـ ٥٦٩ م) ذكر أنه كان فى ذلك الموضع غربى الاسكندرية ٦٠٠ دير عامرة كلها بالازواج كبيين الرهبان والراهبات .. ، وهذه الستمائة دير ورد ذكرها أيضا فى سيرة أنبا اندرونيقوس البطريرك ٣٧ (٦١٦ ـ ٦٢٢ م) إذ قيل عن كسرى ملك الفرس أنه لما أخذ مصر جعل اهتمامه فى فتح مدينة الاسكندرية وكان هناك ٦٠٠ دير عامرة مثل ابراج الحمام فأخربها ...

ويقول كتاب الرهبنة القبطية ص ٩٨ أن هذه الاديرة خربت عن آخرها قبل القرن العاشر ..

مطروقا ولقربها من الاسكندرية ولعدم وجـــود أية مميزات طبيعية مميزة لهذه المنطقة لم يكن لها أسماء خاصة فكانت تميز ببعد المسافة بينها وبين المدينة وسموها بأسماء العلامات الميلية القريبة مثل دير توبمبطن - الخمسة أميال - (من الاسكندرية) ودير الإناطون (التسعة أميال) ... وهكذا .

وفى هذا القرن أيضاً حوالى سنة ٥٥١ م بسبب إضطهاد الخلقيدونيين لم يتمكن البطاركة من البقاء فى كرسى الاسكندرية واضطر الحال إلى نقل مقر البطريركية إلى دير القديس مكاريوس واستمر مدة طويلة ، وعلى هذا فقد ذاعت شهرة دير القديس مكاريوس بالذات وكانت له أهمية بالغة خصوصا فى القرن السادس بعد أن أصبح المركز الرئيسى للكرازة المرقسية [1] .

الدير فى القرون السابع والثامن والتاسع

وفى القرن السابع ظل الدير مركزاً للكرازة المرقسية ومكث

---

(١) كان على الأب البطريرك أن يأتى إلى دير القديس مكاريوس ليجلس على كرسيه حيث يؤدى ثانى قداس بعد القداس الاول الذى يقيمه بالاسكندرية عقب رسامته ، كما كان البطاركة يوالون زيارة هذا الدير فيقضون فيه الصوم الاربعينى ويطبخون فيه الميرون المقدس .

القديس البطريرك الأنبا بنيامين ٣٨ (٦٢٢ - ٦٦١ م) به فترة من الزمن .

وعندما زار أديرة وادى النطرون حوالى سنة ٦٣٠ لم يجد إلا عدداً قليلا من الرهبان . وفى المرة الثالثة والأخيرة التى أسر فيها القديس يوحنا قص شيبيت وصلت رسالة لاون للإسقيط سنة ٦٣١ م وكان غائباً عن دير القديس مكاريوس إذ مضى إلى الصحراء الداخلية ليخفى كنوز الكنيسة وفاجأه البربر وأخذوه أسيراً إلى بلادهم ، وبعد حوالى أربع سنوات أى سنة ٦٣٥ م انضم معه الأنبا صموئيل القلموني فى الأســر عند عودته من الإسقيط إلى الفيوم ، لكن مدة أسر الأنبا صموئيل كانت لمدة قصيرة بينما استمر القديس يحنس قص شيبيت أسيراً لبضع سنوات وربما عاد إلى ديره قرب الفتح العربى .

بعد الفتح العربى أخذ دير القديس مكاريوس يسترد مكانته وأخذت جموع الرهبان تعود إلى البرية وتتزايد بكثرة حتى أنه بعد أن عاد البطريرك الأنبا بنيامين إلى كرسيه بالاسكندرية ، وبعد ما دعاه عمر بن العاص إلى العودة إلى مقره آمنا حضر اليه رهبان دير الأنبا مكاريوس ليكرس لهم الكنيسة التى بنوها ويذكر التاريخ « أن الارض كانت تهتز بهم .. » عند مقابلتهم له

قال الآب البطريرك : « . . . فلما قربنا إلى الدير خرج للقائنا فتيان بأيديهم سعف النخل وجاء بعدهم الشيوخ حاملين المجامر وصلبانا يسبحون بألحان وتراتيل ، وعندما خرج الشيوخ ... اهتز الجبل جميعه من كثرتهم وصفوفهم مثل جند السماء ... » .

وظهرت حركة تعمير وبناء واسعة النطاق وتكاثر عـــدد الرهبان بدرجة فائقة .

وكما امتازت الرهبنة فى القرن الرابع بظهور القديس العظيم مكاريوس الكبير تميزت فى القرن السابع بظهور القمص يوحنا قمص برية شيهيت والقس صموئيل القلموني الذى مكث زمانا فى برية القديس مكاريوس (قبل أن ينطلق إلى صحراء الفيوم) إذ استمر فى جهاده حوالى ثلاث سنوات ولما نيح الأنبا أغاثون رسم قساً بكنيسة القديس مكاريوس .

كانت الرهبنة قوية واستمدت قوتها من مصباح البرية المنير الأنبا يحنس القمص الذى كانت له سلطة كبيرة على البرية كلها ، وخلف أولاداً عمالقة منهم ابرآم وجورجى وتتلمذ لهما كثيرون من الآباء (أنظر كتابنا القديس يحنس قمص شيهيت) .

اهتمام البطاركة بدير القديس مكاريوس

كان هذا الدير جامعة عظمى ومدينة للقيادة وكثر عـــدد

الرهبان ولم يتسع دير القديس مكاريوس لكنـاهم ، اقتضت الضرورة بناء أديرة خارجـــة ملحقة ، أطلق عليها باليونانية « لافرا » ، وكانت هذه القـــلالى الكبيرة أو الأديرة الصغيرة ملحقة بدير القديس مكاريوس الكبير وبدير القديس يحنس القصير فقط .

وهذه الكلمة معناها « فناء صغير » أو مجموع قلالى متفرقة وكانت تطلق على الجماعات الرهبانية فى مصر وفلسطين وسوريا ، تحت إدارة رئيس ، ومنها دير الأنبا زكريا ودير القديسين ابرآم وجورجى ...

بعد الفتح العربى وفى عهد الأنبا بنيامين البطـــريرك ٣٨ وخلفه البابا الأنبا أغاثون[1] كان عدد الرهبان كثيراً جداً فبنيت القلالى الكبيرة وهى أشبه بأديرة صغيرة كما ذكرنا[2] .

---

(١) البطريرك الـ ٣٩ فى القرن السابع ، لما كان قسا كان يتوجا يزى الملكانيين فى الاسكندرية ويطوف بالفيل ليثبت الارثوذكسيين المختفين ويقضى حوائجهم ويناولهم من الاسرار المقدسة ، وفى النهار كان يحمل على كتفه قفة فيها آلات النجارة ويتظاهر أمام المضطهدين بأنه نجار — وذكر عنه أنه لم يرسم إلا للمستحقين لدرجات الكهنوت .

(٢) يقال لها أيضا القلاية الكبرى وبالقبطية تيشنى انرى — كان بعضها كنيستها وقلالها ، كانت تنسب إما إلى بلد رهبان القلاية أو إلى=

وكان يوجد حوالى ٤٠ قلاية كبيرة .

وعلى مر الزمن اندثرت القلالى المحيطة بدير القديس مكاريوس الكبير ، كما اندثر دير القديس يحنس القصير مع قلاليه.

أما فى القرن الثامن وخصوصا فى أيام حكم مروان الثانى (٧٤٤ - ٧٥٠ م) فقد لاقى الرهبان شدائد كثيرة - وفى أوائل القرن التاسع حدثت غارة على دير القديس مكاريوس وأيضاً باقى الأديرة فى عهد بطريركية أنبا مرقس الثالث (٧٩٩-٨١٩م) لكن سرعان ما امتدت يد التعمير والبناء بمجرد انتهاء التخريب فى عهد البطريرك أنبا يعقوب (٨١٩ - ٨٣٠م) وقد زار الاديرة ورأى بريه شيبيت فى هذا العهد كفردوس الرب إذ تجمع شمل الرهبان مرة أخرى وعادوا إلى مقارهم ... وبعد أن خمدت نيران الاضطـــراب الذى أشعله البربر جدد البطريرك أنبا شنوده

= راهب ممتاز بين الإخوة - فمثلا يوجد مخطوط بالمكتبة البطريركية بالقاهرة مذكور فيه أنه كتب عام ٩٩١ ش (١٢٨٥) فى قلاية الدماهرة (مخصصة للرهبان من دمنهور) وقلاية البتانون .

ومن النوع الثانى قلاية بلتوس (فيلوثيوس) وقلاية ابرآم وجوورجى وقلاية دروذى معلم القديس يحنس كاما ، وتخرج فيهـا البطريرك الأنبا غبريال ...

(٨٥٩-٨٨١م) دير القديس مكاريوس وأحاطه بسور منيع[1] ليقوم فيه الرهبان آمنين .

ويذكر كتاب الرهبان والاديرة د . مناردس ص ١٧٩ أنه فى القرن التاسع زار Epiphanius Hagiopolites دير القديس مكاريوس وكان به ألف راهب وألف قلاية .

وهذا بلا شك يعزز ما قرره البطريرك أنبا يعقوب عن إزدهار الاديرة وتجمع شمل الرهبان مرة أخرى وبالأخص دير القديس مكاريوس .

الدير فى القرون العاشر والحادى عشر والثانى عشر

فى القرن العاشر كان للدير مكانة دينية ومنزلة روحية عظيمة فأقام البطريرك الأنبا غبريال الأول الـ ٥٧ (٩١٠ - ٩٢٣ م) وكان من رهبان دير القديس مكاريوس فى تدريبات روحيـة بالدير ... وبعد ثلاث سنوات عاد إلى كرسيه واستأنف جهاده ودفن فى دير القديس مكاريوس .

كما ترهب منذ صباه فى هذا الدير البطريرك مقار الأول ، التاسع والستين ، الذى رسم سنة ٩٣٣ م .

(١) هذه أول مرة يرى فيها ذكر بناء أسوار الدير .

وفى القرن الحادى عشر لاقت الكنيسة ثانية إضطهادات عنيفة أيام الحاكم بأمر الله واتخذ البطريرك الانبا زكريا الـ ٦٤ مقامه فى برية شيهيت مدة تسع سنوات ، وكان هذا البطريرك على جانب كبير من القداسة (تنيح سنة ١٠٣٢ م) ومما لاشك فيه أن الدير فى هذا العهد كان يضم عـــدداً وفيراً من الآباء القديسين ـ خلفه البطريرك الانبا شنوده الثانى البطريرك ٦٥ (١٠٣٢ - ١٠٤٦ م) وكان من رهبان دير القديس مكاريوس وترهب وهو فى سن الرابعة عشر من عمره .

وكان عدد رهبان الدير أكثر من نصف عـدد رهبان باقى أديرة شيهيت كما يتضح ذلك من الاحصائية الآتية .

بيان عدد الرهبـان فى سنة ١٠١٧ م[1]

اسم الدير	عدد الرهبان
مكاريوس	٤٠٠
بيشوى	٤٠
يوحنا القصـــير	١٥٠
يوحنا كاما	٢٥

(١) من كتاب أديرة وادى النطرون لسير طوسون ص ١٦٧ .

اسم الدير	عدد الرهبان
برموس	٦٠
موسى	٢
السريان	٦٠
	٧٣٧

كان بدير القديس مكاريوس وحده ٤٠٠ راهبا وبباقى الاديرة التى كانت موجودة آنئذ ٣٣٧ راهباً وهذا ما يوضح لنا حالة الدير فى هذا الزمان بدون تعليق .

وكان رهبان هذا الدير يتمسكون تمسكا شديداً بالتقاليد وبما تسلموه عن الآباء نذكر على سبيل المثال القصة التالية نقلا عما ورد فى دليل المتحف القبطى ص ٢٩ .

« لما زار الانبا خرستوذولوس البطريرك ٦٦ (١٠٤٧ - ١٠٧٨ م) دير أبو مقار ومعه كاتبه الانبا ميخائيل أسقف تنيس انتقد عادة حفظ القربان من يوم أحد الشعانين إلى يوم الاربعاء الكبير بسبب ما يطرأ عليه من الفساد وأمر بإبطال هذه العادة فاعترض الرهبان على ذلك قائلين له انك لست أفضل من الآباء الذين سبقوك فغضب واعتزل فى قلايته فحدث هياج فى الدير ولم

يهدأ إلا بعد ما أخرج الآب البطريرك من خزانة الكتب فى الدير ميمراً بهذا المعنى تلاه الانبا ميخائيل على مجمع الرهبان فأذعنوا للأمر وبطلت تلك العادة من ذلك الوقت » .

وفى القرن الثانى عشر تخرج البطريرك مقار الثانى (١١٠٣-١١٢٩ م) فى دير القديس مكاريوس ، وكان للدير نشاط كبير ومكانة عظيمة وكان رهبانه يتمسكون بالتقاليد كما سبق القول - ويذكر التاريخ أنه على أثر رسامة هذا الآب دعاه الاساقفة إلى رفع القربان فى كنيسة المعلقة فهاج رهبان دير القديس مكاريوس لمخالفة ذلك لعـــادة سلفه ، فكانوا يرفعون أول قربان لهم فى ديرهم وتنازعوا مع الاساقفة والاراخنة وألحوا فى طلبهم فأخذوا البطريرك وانطلقوا به إلى دير « أبا مقـــار » واحتفلوا به احتفالا عظيما .

وتخرج أيضاً البطريرك الحادى والسبعين الانبا ميخائيل الثالث (١١٤٦ - ١١٤٧ م) من القلاية الكبرى تينشتى أنرى التى كانت ملحقـــة بدير القديس مكاريوس ، وكانت القلاية الكبيرة أو الاديرة الصغيرة لا تزال قائمة حول دير القديس مكاريوس مما يدل على أن حالة الرهبنة فى هذا الدير كانت مزدهرة جداً ، وكان للرهبان مركزهم المرموق ويذكر التاريخ القصة التالية :

حدث فى أيام البطريرك يوحنا الخامس الـ ٧٢ أن رهبان سمنود زادوا على الاعتراف لفظة « المحيى » بعد جملة (أن هذا الجسد) فاعترض على هذه الزيادة الانبا مكاريوس أسقفهم وأمرهم بتركها ولما أبوا رفع الامر إلى البابا يوحنا فعقد مجمعاً من سائر أساقفة مصر وطرح المسألة أمامهم وبعد البحث أقر المجمع هذه الزيادة وأصدر البطريرك منشوراً لجميع الكنائس بقبولها - ورغم هذا فإن رهبان دير « أبا مقار » أثاروا نزاعا حول التسليم بهذه الكلمة ولكنهم اقتنعوا أخيراً وهكذا تصلى الكنيسة للآن « أن هذا هو الجسد المحيى .... » .

ومن هذه الحادثة وغيرها نرى أنه لم يكن فى القديم يستطاع إضافة أى كلمة زائدة عما سلمه آباء الكنيسة ، ولو كان هناك تفريط وترك كل وشأنه ليزيد أو ينقص لكنا نرى فى القراءات الكنسية عجباً . ولا يزال البعض يضيفون بعض القراءات من غير سند لها نذكر على سبيل المثال :

(١) فى أوشية المياه ، أضيفت كلمة النيل - بفرح وجه الارض بالنيل .

(٢) عند حلول الروح القدس - العبارة : بتحول هذا الخبز

إلى جسدك الطاهر ، والعبارة وبتحول هذا الخمر إلى دمك الزكي الكريم .

ويلاحظ فى القداس أن صلوات الكاهن والشماس والشعب بالقبطية واليونانية مع ترجمتها بالعربية - ولا توجد هذه الاضافات فى أية خولاجيات مخطوطة أو مطبوعة .

أيضاً لحن « أومونوجينيس » حسب دلالات أسبوع الآلام سواء بالاديرة أو بالمتحف القبطى يقال فى الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة فقط وبعض الكنائس تكرره فى الساعة التاسعة .

وقد حذر المتنيح المعلم ميخائيل جرجس من أية إضافات حتى على مقدمة الانجيل العربية وهى : « ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح ابن الله الحى له المجد إلى الابد آمين » فقال فى كتاب خدمة الشماس طبعة سنة ٩٥١ ص ١٨ .

« يجب على القارىء ملاحظة هذه الترجمة دون أن يزيد عليها شيئاً » .

الدير فى القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر

فى القرن الثالث عشر كان رهبان دير القديس مكاريوس على

جانب كبير من المعرفة اللاهوتية والتعمق فى دراسات الكتاب المقدس .

لما أراد البطريرك الأنبا غبريال بن تريك السابع والسبعين فى عدد البطاركة وضع كتاب لقراءات أسبوع الآلام جمع علماء من ذوى المعرفة والفهم ورهبانا كثيرين من دير القديس مكاريوس وأخذوا من العتيقة والحديثة ما يلائم ووضعوا كتابا سموه كتاب البصخة ... وهذا يدلنا على مدى المعارف اللاهوتية التى كان عليها رهبان الدير .

وكان فى هذا الدير وحده فى هذا القرن حوالى الف راهب [1] .

وفى القرن الرابع عشر كان عدد الأديرة عشرة وهى :

البرموس - أبو مقار - يوحنا القصير - بيشوى - السيدة برموس - يوحنا كاما - السريان - الأنبا نوب - دير الأحباش - دير الأرمن .

لكن يؤخذ من تاريخ البطريرك الأنبا بنيامين ٨٢ والبطريرك الأنبا غبريال ٨٦ انهما لما زارا أديرة البرية لم يذكرا انهما زارا الثلاثة الأديرة الأخيرة .

(١) كتاب أديرة وادى النطرون لمستر طومسون ص ١٦٧ .

وأخذ بعد ذلك عدد الاديرة فى النقصان .

ويذكر Fr. Niccolo di Poggibonsi عن هذا الدير أنه كان له المركز القيادى وكان متسعاً جميلا .

ومنذ القرن الخامس عشر أو قبله بزمن أخذت القلالى الكبيرة أو الاديرة الصغيرة التى كانت ملحقة بدير القديس مكاريوس فى الاندثار كما يتبين ذلك مما حدث .

فى سنة ١٤٠٩ م عندما تفيح البطريرك متاؤس الاول أطهر الرب أعجوبة فى ليلة نياحته ، ذلك أن رهبان دير القديس مكاريوس سمعوا حركة وصوتا من توابيت البطاركة يدعوهم قائلا : « قوموا واخرجوا وافتحوا الباب لان أبانا متاؤس هنا وهو واقف يقرع الباب » وعندما خرج الإخوة (وكان الرهبان فى ذلك الوقت فى القسطلية فقط داخل أسوار الدير لأن القلالى الخارجية قد هجرت) وفتحوا لم يجدوا أحداً تعجبوا [1] .

(١) ظل الرهبان يجهلون ما حدث الى أن وصلتهم الأخبار من مصر أن هذا الأب قد تفيح فى الليلة التى زارهم فيها لاجل اخوته البطاركة القديسين ... وكان ذلك هو سبب تحرك تلك الأجساد لأنهم قد علموا أن العالم قد خسر فى ذلك اليوم معلما عظيما .

وكان من جراء حركة الاجساد هذه أن سقط على الارض الصباح الذى كان موقدا أمامها وانطفأ ولم ينكسر (كتاب أديرة وادى النطرون ـ منير شكرى ص ٣٠٢ و ٣٠٣) .

ويبدو أن أهم العوامل التى أدت إلى اندثار هذه القلالى وأدت إلى اندثار عدد كبير من الاديرة فى القرن الخامس عشر بعد أن كانت تطل شامخة فى الصحراء إلى منتصف القرن الرابع عشر وكان عددها كبيراً هى الوباء الذى حل فى منتصف القرن الرابع عشر والمجاعة التى حدثت سنة ١٤٧٤م وأعقبها الطاعون.

وحوالى سنة ١٤٤٠ م خربت الثلاثة أديرة : أنبا نوب ـ الاحباش ـ دير الأرمن ، وخرب من قبله بزمن دير القديس يحنس القصير .

وحوالى سنة ١٤٨٢م توارى دير موسى وأصبح عدد الاديرة خمسة فى القرن السادس عشر .

الدير من القرن السادس عشر الى القرن العشرين

ذكر الرحالة تفنت Thévenot أنه زار دير القديس مكاريوس سنة ١٦٥٧ وكان مقفراً من الرهبان ، كما يقرر دى برنيه Du Bernet أنه لما زار الدير سنة ١٧١٠م كان عدد الرهبان أربعة فقط ، بينما جرانجر Granger يقرر أنه أثناء زيارته للدير سنة ١٧٣٠م وجده خربا غير مأهول .

لكن فى سنة ١٧٩٩م لما زار اندروسى Andréossy هذا

الدير وجد به عشرين راهباً ... [1] .

والاحصائية الآتية[2] تبين عدد الرهبان من ١٦٦٧ - ١٩٢٤ م

السنة	البرموس	السريان	بيشوى	مكاريوس
١٦٦٧	—	١٤	—	—
١٧١٩	—	١٠	—	—
١٧٦٧	—	١١	—	—
١٧٨٠	١٨	٢٠	١٨	٢٢
١٨٣٥	٧	٤٠	١١	١٧
١٨٤٧	—	٤٥	—	—
١٨٥٢	—	٥٦	—	—
١٨٩٧	٥٥	٤٠	٢٥	٣٠
١٩٠٦	٢٠	١٨	١٦	٣١
١٩٢٤	٦٨	٥٨	٣٥	٤٠

ذكرنا فيما سبق أن عدد الاديرة فى القرن السادس عشر كان خمسة ، وفى القرن السابع عشر حوالى سنة ١٦٧٢ توارى

(١) من كتاب الرهبان والاديرة د . منارديس .

(٢) عن كتاب أديرة وادى النطرون لمستر طوسون ص ١٦٨ .

دير القديس يوحنا كاما وأصبحت الاديرة أربعة فقط وهى الموجودة حاليا .

ومما تقدم تستطيع أيها القارىء أن تتبين حالة هذا الدير فى القرون الاخيرة ، ولايخلو هذا الدير مثل سائر الاديرة من وجود آباء قديسين فى أيامنا هذه ويكفى أن اذكر لك أيها القارىء العزيز قصة الآب فليمون بدير القديس مكاريوس وهى قصة حديثة ثابتة .

† † †

الفصل الخامس

رهبان قديسون معاصرون

كما كانت الاديرة فى القرون القديمة تزخر بجموع القديسين فإنها فى كل قرن وإلى وقتنا هذا تضم آباء مكرمين تركوا العالم ومسراته وافترقوا عن الاهل والاقارب والاصدقاء افتراق الميت من الاحياء وسكنوا فى الجبال والمغائر من أجل عظم محبتهم فى السيد المسيح ...

نذكر على سبيل المثال :

« تحدث البابا يؤنس التاسع عشر عن فضائل القمص مقار المعروف بحلمه وطول أناته وكان كاهناً للاسكندرية فى بدء حياته الاسقفية، وكيف أن أحدهم بصق فى وجهه لانه تباطأ فى الحضور لتجنيز أخيه الذى جاءوا به للصلاة عليه فى الكنيسة المرقسية فأخرج الكاهن منديله ومسح وجهه ثم وقع على عنق المعتدى مقبلا ومعتذراً وسار معه إلى الكنيسة حيث قام بتأدية الشعائر وفى النهاية رافق المشيعين إلى المدافن ، ولما عاد الآب إلى مقره استيقظ ضمير المسىء فلحق به باكياً نادما وأخذ يذرف الدمع

السخين ويقع على قدميه مستسمحاً والكاهن يرفعه من الارض ويدعو له بالصحة والنجاح حتى أراح قلبه وصرفه مزوداً بالحل والبركة »[1].

وذكر كتاب الرهبان والرهبنة لأوتو ميناردس[2] أنه لما زار الرحالة الشهير H. V. Morton دير أبا مقار سنة ١٩٢٤ وجد أحد الرهبان يضرب المطانيات وقيل له أن هذا الراهب يلازم الوحدة منذ سبع سنوات فى مكان منعزل ويقيم بمفرده ويترك قلايته فقط لحضور الكنيسة وليجمع طعامه .

† † †

(١) مجلة مدارس الاحد عدد أبريل سنة ٦٧ .

(٢) ص ٢٠٣ .

معجزة حديثة لأب فاضل

أطـــال الله حيـاته

الآب فليمون بدير القديس مكاريوس وإلى جانبه
الأستاذ سمير سليمان مأمور ضرائب بالاسكندرية

من سنوات قليلة مرض الآب فليمون الراهب بدير القديس مكاريوس مرضاً شديداً آلمه جداً وكان لابد من نقله إلى المستشفى للعـــلاج .

امتاز هذا الآب الفاضل - وله ما يقرب من خمسين سنة راهباً بالدير ولم يخرج منه - ببساطة الإيمان وصفاء الروح

والطهارة ومحبة الغرباء والاتضاع ومداومة الصلاة ... إلى جانب شدة نسكه وزهده وتقشفه ، هذه الصفات وغيرها يلمسها كل من رآه واتصل به .

وكسائر الآباء القديسين كان لا يرغب فى عرض نفسه على الأطباء - ليس لان ذلك أمر لا يتفق والدين - لكن من أجل عظم إيمانه بالرب يسوع القـادر على كل شيء . والذى قال : « أنا هو الرب شافيك » .

اشتدت به العلة وكان لابد من اجراء عملية جراحية له ، فما كان منه إلا أن احتمى بكنيسة القسمة والاربعين شيخاً شيوخ برية شيهيت ، وكان يرقد كل ليلة على مقبرتهم على حصير طالباً صلواتهم وشفاعاتهم .

هؤلاء الشيوخ الأطهار الشهداء الذين ذبحهم البربر فى البرية سنة ٤٤٤م .

رقد الشيخ الآب فليمون فوق مقبرة الشيوخ بضع ليـال وكان كل ليلة يبل فراشه بدموعه طالباً من الشيوخ أن يطلبوا من الرب عنه فى أمر شفائه ويستغيث بهم ويعاتبهم كثيراً كيف أنه يخدمهم سنين طويلة هذا مقدارها ولا يجيبوه إلى طلبه ويطلبوا إلى السيد المسيح ليقيمه من مرضه .

فى إحدى الليالى بعد منتصف الليل بعد أن أعياه التعب نام فرأى كأن أحد الشيوخ يأتى إليه وينادية ويقول له: «مالى أراك حزيناً مكتئباً» يرد عليه ويقول له فى عتاب لطيف كأن صديقاً يعاتب صديقه: «مالى أيه يا شيخ، انى مريض ولجأت اليكم أنتم تسعة وأربعون شيخاً. ألا يوجد واحد فيكم يشفق على أنا الشيخ نظيركم ويسأل عنى لأشفى من مرضى» أجاب الشيخ وقال له ثق ها أنا قد جئت لأبشرك بأن السيد المسيح أمر بشفائك من مرضك وستنهض صحيحاً معافى، وطيب خاطره وانصرف.

فى الصباح قام فوجد نفسه قد عوفى وزال عنه كل أثر من آثار مرضه، فما كان منه إلا أنه بكل فرح وسرور اشترى ستراً لباب هيكل كنيسة التسعة وأربعين شيخاً أهداه اليهم تكريماً لهم وأصبحت هذه القصة معروفة يرويها كثير من الزائرين.

رواها الأستاذ مكرم يوسف المحامى كما رواها الأستاذ سمير سليمان مأمور ضرائب بالاسكندرية الذى تراه واقفاً إلى جوار الآب فليمون فى الصورة.

وأن كل من يرى الآب فليمون يرى فيه التقوى والقداسة

والطهارة وهو لايزال راهباً بالدير وقد تقدمت به السنون، نفعنا الرب ببركة صلواته.

أن البرية تضم شيوخا كثيرين قديسين ممتازين فى الورع والتقوى فى كل الاديرة ولكن مع الاسف أننا نكتفى بالنقد وما أسهله - أما اختبار السلوك فى هذا الطريق الشاق فإننا نفرمنه لأننا نقف عند حد الحديث والدينونة التى سوف تقود مرتكبها إلى الهلاك.

الطوبى لكم أيها الآباء الاطهار سكان البرية لانكم حافظتم على نقاء البتولية وصرفتم عمركم مع القديسين وانفصلتم عن الكل لتتصلوا بالواحد ...

† † †

الفصل السادس

أهمية دير القديس مكاريوس

أمتاز هذا الدير بأمور كثيرة نذكر منها :

(١) كان هذا الدير مركزاً للكرسى البطريركى منذ القرن السادس أيام إضطهادات الخلقيدونيين حيث كان يتعذر على الآب البطريرك التواجد بالاسكندرية ... !!

(٢) غنى بآثاره ومن أهمها تابوت يحوى أجساد ستة عشر من الآباء البطاركة وهو موجود فى كنيسة آبا مقار ، ومدفون بالدير كذلك القسعة وأربعين شيخاً الشهداء ، وبه جسدا القديسين يوحنا المعمدان وأليشع النبى الذين جاءوا بهما إلى أثناسيوس الرسولى حيث شرع يوليانوس فى حرق أجساد القديسين فى أورشليم ، ويمتاز بوجود أجساد الثلاثة مقارات القديسين ، ومدفون به عدد كبير من الآباء الرهبان القديسين .

(٣) جرت العادة أن المنتخب للبطريركية بعد تكريسه بالاسكندرية يتوجه إلى دير آبا مقار لاتمام رسامته والتقديس به.

(٤) تخرج فيه ودفن به أكبر عدد من البطاركة .

(٥) كان يكرس فيه الميرون ، وذلك فى المدة من أنبا مرقس البابا ٧٣ (١١٧٨م) إلى البطريرك أنبا غبريال الـ ٨٦ سنة ١٣٧٤ م .

لاعتبارات كثيرة أمتاز هذا الدير عن سائر الاديرة وكان مركز القيادة ، وأمتاز أيضاً بمخطوطات نفيسة جداً لا تقدر بثروة ، فكانت مكتبة هذا الدير ولاشك من أغنى مكتبات وادى النطرون بحكم ظروف هذا الدير، ورأينا فى هذا الكتاب كيف أن الانبا يوحنا قمص البرية لما كان مشغولا فى إخفاء كنوز الاديرة فاجأه البربر وأسروه ...

كان الآباء الرهبان حريصين جداً على ما بالاديرة من كنوز وظل الحال كذلك حتى جاء القرن السابع عشر الميلادى حيث اكتشف الرحالة الاجانب كنوزنا التى لا تقدر بثروة ونجحوا فى الاستيلاء على الكثير منها ، وذكرنا فيما سبق أن عدد الاديرة قد تقلص إلى أربعة فقط، ونظراً لظروف كثيرة تمكن الاجانب من الحصول على عدد ضخم جداً من المخطوطات النفيسة وكان غرضهم من زيارة الاديرة الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من المخطوطات .

فى سنة ١٦٣١م زار Cassien دير القديس مكاريوس وفى سنة ١٦٣٤م زاره Agathange ويقول أنه حصل على نسخة للإنجيل بست لغات ، وفى سنة ١٦٧٠م زاره Goujou وفى سنة ١٧٦٨ م زاره Huntington ويقول أنه رأى بعض كتب هامة بالدير المذكور ، وفى سنة ١٧١٢ م زاره Sicard وفى سنه ١٧٠٧م زاره أمين مكتبة الفاتيكان E. Assemani ثم تبعه ابن عمه J. S. Assemani ، وهذا حصل على مخطوطات قبطية نادرة من دير أبا مقار .

وفى هذا يقول ما نصه « من هؤلاء الرهبان حصلنا على مخطوطات على أعظم جانب من الاهمية مكتوبة باللغة القبطية ولم يكن لديهم بعد ذلك ما يستحق الالتفات حتى من أكثر الناس جشعاً » .

واستمر سيل الرحالة الأجانب لغرض الحصول على ما يمكن بأى طريق ولو بالطرق الملتوية فزار الدير المذكور فى سنة ١٧٢٩ Sevin وفى سنة ١٨٣٧ يعترف Curzon أنه استطاع الحصول على كثير من الكتب النفيسة .

فى سنة ١٨٣٩م زار الدير Tattam وفى سنة ١٨٤٤ م قام Tischendorf بجولة حول الأديرة ليأخذ ما عساه يكون متبقياً

من المخطوطات لتكون بعدئذ من نصيب مكتبة الجامعة بليبزج وكمبردج . ويروى Chester قصته فيخبرنا كيف أبى رهبان دير القديس مكاريوس أن يسمحوا له بزيارة القصر حيث كانت الكتب وذلك لأنه قبل زيارته بقليل حضر أحد الفرنسيين المسمى Fortune Ame فما أستقر بالدير بعض الوقت حتى تسلل فى إحدى الليالى إلى حيث نفائس الدير من مخطوطات وغيرها وحملها إلى أعلى الأسوار حيث ألقى بها إلى البدو المرافقين له ليتسلمها منهم عند خروجه .

وكان آخر الرحالة الأجانب Evelyn White الذى زار دير أبا مقار سنة ١٩٢٠ [1] .

وهكذا أصبحت كنيستنا الأم محرومة من أعز ما تملك ، مؤلفات الآباء المنوعة التى تعد بالآلاف والتى تزدان بها مكتبات ومتاحف الخارج .

بعد ذلك يبقى سؤال « هل يمثل هذه السهولة تقرب المخطوطات النفيسة ؟ » وللإجابة عليه نسجل هنا نص ما كتبه مؤلف كتاب « Christian Egypt ص ١٥٥ حيث يصف

(١) من كتاب Christian Egypt ص ١٥٤ ورسالة مارمينا سنة ١٩٤٨ .

هذا الدير وصفاً مؤثراً نقلا عما ذكره الأجانب فيقول (١) .

(... When in 1656 Thévenot visited the Monastery, he described it as the most dilapidated of the four monasteries of the Wadi Natrun and Du Bernat (1710) noticed only 4 monks there, While Granger (1730) found the monastery in ruins ...) .

ومن المعروف أن هذه الحالة لم تكن قاصرة على دير القديس مكاريوس فحسب بل عمت سائر الأديرة فيذكر المتنيح القمص عبد المسيح المسعودى فى ص ٦٧ فى كتابه تحفة السائلين فى ذكر أديرة الرهبان المصريين عن تاريخ دير البرموس فى القـــرن التاسع عشر .

« ... كان بدير سيده برموس نحو ٧ رهبـان على ما قيل وصار أحدهم أى القمص عبد المسيح رئيساً للدير ، فجعل أحدهم أى الراهب عوض ربيته وطرد خمسة رهبان أو أكثر قيل بغير حق ... وبقى الراهب عوض نحو ثلاث سنوات وحده (أى توحد إضطراراً لا بقصد الوحدة) ... وكان يأتى أحد قسوس

(١) كتاب الرهبان والرهبنة ص ١٥٥ .

دير السريان ولا سيما القمص جرجس الفار فيصلى للراهب عوض فى الكنيسة فى الأيام الأكثر لزوما ... » .

وقد ذكر مؤلف كتاب « Monks and Monasteries » ص ١٤١ « لما زار السر جاردنر ولكنسن أديرة وادى النطرون فى سنة ١٨٤٢ م وجد أن دير البرموس يسكنه سبعة رهبان فقط.

من كل ما تقدم تستطيع أن تتبين أنه كان يمكن بسهولة تسرب كنوز مخطوطاتنا إلى الخارج .

* * *

الفصل السابع

كنائس الدير الحالى ومبانيه(١)

فى الطريق الصحراوى من الاسكندرية إلى القاهرة وعند الكيلو ١٣٦ توجد لافتة مكتوب عليها : « دير القديس مكاريوس » على مسيرة ما يقرب من الساعة بعدها تستطيع أن تصل إلى الدير .

ومساحة الدير حاليا داخل السور ٢٢ ط ١ ف طوله ١١٥ متراً وعرضه ٧١ متراً .

وجنوبى مدخل الدير مباشرة القصر القديم (الحصن) ويتكون من ثلاثة طوابق :

الطابق الأول فى القسم الشرقى منه ثلاث حجرات ... وفى الغربى حجرتان كبيرتان ، تتصل بهما حجرة صغيرة منخفضة ، والبحرية تؤدى إلى ممر صغير يؤدى إلى البئر .

(١) عن كتاب أديرة وادى النطرون لمرقس سيدهم وكتاب التلالة مقارات لدير السريان .

وفى الطابق الثانى فى الناحية الشرقية :

(١) كنيسة السيدة العذراء ولها ثلاثة هياكل .

وفى الطابق الثالث يوجد فى الناحية الشرقية الكنائس الآتية :

(٢) كنيسة الملاك وعلى حائطها البحرى صورة للملاك ميخائيل وعلى الحائط القبلى صور لقديسين هم من الشرق إلى الغرب أنبا ساويرس . أنبا واسيليدس أبوه ـ مكاريوس الابن الثانى لواسيليدس ـ يسطس وابلو ابنه وتاؤكليا زوجته .

(٣) كنيسة القديس انطونيوس وبها بقايا صور لثلاثة قديسين هم من الشرق إلى الغرب انبا انطونيوس . أنبا بولا . وأنبا باخوميوس .

(٤) كنيسة السواح وبها صور لتسعة هم من الشرق إلى الغرب . أنبا يونس قص شيهيت ، وأنبا نوفر ، وأنبا ابرآم والانبا صموئيل المعترف رئيس دير القلمون ، وأنبا جورجى ، وأنبا إبلو ، وأنبا أبيب ، وأنبا ميصائيل وأنبا بيجيمى .

وبالدير ثلاث كنائس أخرى غير الأربع المذكورة سابقاً لها قيمة عظيمة من الناحيتين الأثرية والدينية وهى :

١- كنيسة القديس مكاريوس

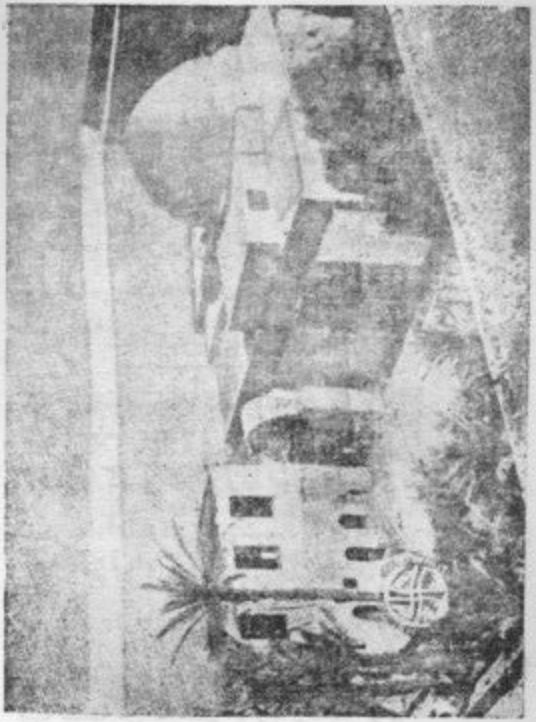

عجن القربان

يحدها من الناحية البحرية سور الدير وكان بها خمسة هياكل وهى هيكل الرسل ، هيكل مار مرقس الإنجيلى ، مقاريوس ، شنوده وبنيامين - وحاليا يوجد بها هيكلان : هيكل الرسل ، وهيكل بنيامين والاخير على جانب كبير من العظمة بنى فى عهد البطريرك الأنبا بنيامين الثامن والثلاثين فى القرن السابع .

وبهذه الكنيسة فى القرن الحاضر دولابان نقل اليها أجساد البطاركة الستة عشر الذين كانت أجسادهم محفوظة فى تابوت بالحصن ونقلت إلى الكنيسة سنة ١٩٣١ وعليها قائمة بأسماء عشرة من هؤلاء البطاركة أمكن معرفة أنها من هذه الأجساد وهم :

خائيل الثانى	٤٣
خائيل الثالث	٥٦
غبريال الثالث	٥٧
قسما الثالث	٥٨
مكاريوس الاول	٥٩
خرستوذولو	٦٦
كيرلس الثانى	٦٧
يؤنس الخامس	٧٢
مرقس الثالث	٧٣
يؤنس الخامس عشر	٩٩

قلنا قبلا أن مساحة الدير كانت كبيرة لكنها نقصت ولذا تغيرت مبانى الدير وأصبح الآن يوجد به هيكلان فقط : [١]

هيكل بنيامين وهيكل الرسل

تبلغ مساحة الهيكل الأول ٨ أمتار إلا ثلث وبناء قبته من أتقن وأبدع ما بنى من نوعها من القباب ، وبناه الرهبان فى عهد بنيامين البطريرك ٣٨ على أثر الخراب الذى أحدثه الفرس فى هذه البرية ... ولتقدم الشيوخ فى السن طلبوا من الأنبا بنيامين البطريرك أن يكرس لهم هذه البيعة الجديدة ... وهكذا حضر الآب بنيامين وكرس لهم هذا الهيكل وفيما هو يؤدى عملية التكريس أبصر شخصاً نورانيا واقفاً بزاوية الهيكل فتمنى لو تتاح له الفرصة لان يعينه أسقفاً لكنه سمع من يقول « هذا مكاريوس قد حضر اليوم يفرح مع أولاده » .

ويذكر تاريخ البطاركة حادثة حدثت لخاروبة لما كان بدير الأنبا مكاريوس نذكرها فيما يلى [٢] .

« لما كان بدير الأنبا مكاريوس بينما كان فى هذه الكنيسة

---

(١) عن كتاب الرهبنة والأديرة لمعلم طوسون .

(٢) كتاب أديرة وادى النطرون لمعلم طوسون ٢٠١ ، ٢٠٢ .

وذلك أنه لما مات ابن طولون وجلس ابنه مكانه وكان اسمه خمارويه... مضى إلى دير أبا مقار ونظر جسد القديس مكاريوس فسأل من هذا ؟ فقالوا له هذا صاحب الدير فأمر أن يحلوه من كفنه ومسك شعر لحيته ففتح القديس عينه فى وجهه فللوقت سقط إلى ورائه وغشى عليه فدهنوه من زيت القنديل فرجعت اليه روحه وقام وتمشى فى الكنيسة وهو متعجب . وكان بيده حزمة ريحان فأتى إلى هيكل بنيامين فوجد صـــورة القديس تادرس المشرق فألقى بها للصورة وقال « قد وهبت لك هذه القبضه من الريحان يا تادرس » فتناولتها الصورة ... فخاف خمارويه من هذا العمل » .

† † †

٢ ـ كنيسة الشيوخ

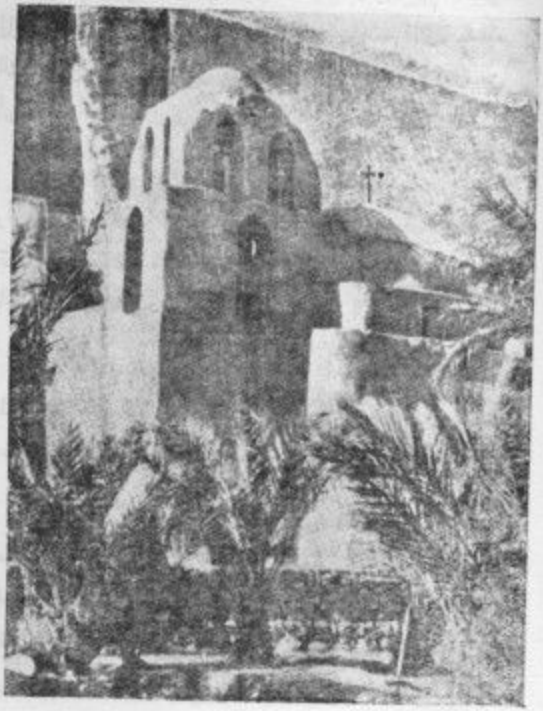

استشهد هؤلاء الشيوخ فى غارة البربر الثالثة التى حدثت سنة ٤٤٤م وقيل فى قصتهم أنه بعد أن أتم البربر ذبحهم انطلقوا إلى دير القديس الأنبا بيشوى حيث غسلوا أسلحتهم الملوثة بدماء الشهداء فى بئر وكان كل من يشرب من ماء هذه البئر يبرأ من أى مرض اعتراه .

وذكر فى تاريخ الأنبا بنيامين ٣٨ أن أجساد التسعة وأربعين شيخاً دفنوا فى مغارة بالقرب من البرج الكبير الذى يقال له « بيامون » ، ونقلت أجسادهم إلى مدفن أقيم لهم خصيصاً باعتبارهم شهداء فى دير أبو مقار .

وأن البابا بنيامين أتى بنفسه واحتفل احتفالا عظيما بهذه المناسبة... وكان قد انتقل بيديه أجساد هؤلاء القديسين جسداً جسداً وناولها للرهبان والشمامسة ...

وفى سنة ١٧٧٣ م بنى لهم المعلم ابراهيم الجوهرى كنيسة أمام كنيسة القديس مكاريوس ملاصقة للسور الغربى ، وغربى الهيكل توجد المقبرة التى بها الأجساد وترتفع عن الأرض بمقدار ٣٣ سم ، وفى الزاوية الشرقية القبلية مغارة صغيرة بها جرس صغير ... وقد اهتم بهذه الكنيسة البطريرك أنبا

ديمتريوس المائة والحادى عشر سنة ١٨٦٦ ... وكان من دير القديس مكاريوس ... وبها صورة القديس مكاريوس وصورة السيدة العذراء حاملة السيد المسيح وهو طفل ومكتوب عن يسارها « راسم تلك الصورة الحقير القمص جرجس أحد رهبان دير القديس العظيم أبو مقار آب رهبان شيهات » .

٣ – كنيسة القديس ابسخيرون

أما كنيسة القديس ابسخيرون فهى قبلى كنيسة القديس مكاريوس وعلى حائطها البحرى بعض كتابات بالقبطية .

وقد بنى حديثاً قصر الضيافة وهو مكون من طابقين وبه صالات للاستقبال وحجرات للنوم وبه المكتبة .

وتوجد بالدير ماكينة للمياه وأخـــرى لتوليد الكهرباء للإنارة وقت الحاجة .

وبالدير جرس ضخم أحضره الأنبا ديمتريوس ثم بنيت له منارة وتحته جرس أصغر .

† † †

مراجع الكتاب

(١) بستان الرهبان .

(٢) حياة الصلاة الأرثوذكسية .

(٣) الثلاثة مقالات لدير السريان .

(٤) تاريخ البطاركة لساويرس بن المقفع طبعة Evetts .

(٥) الرهبنة القبطية .

(٦) دليل المتحف القبطى .

(٧) أديرة وادى النطرون لعمر طوسون .

(٨) أديرة وادى النطرون د . منير شكرى .

(٩) الرهبان والأديرة د . أوتو مناردس .

(١٠) قديسو مصر « شينو » .

(١١) تاريخ الكنيسة للتنيح القس مقسى يوحنا .

(١٢) كتاب مواعظ القديس مكاريوس الكبير طبعة سنة ١٩٠٠ .

(١٣) ايفلين هوايت .

(١٤) كتاب مصر المسيحية لأوتو مناردس .

(١٥) تحفة السائلين .